

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
كلية الآداب والفنون واللغات باتنة

جامعة الحاج لخضر باتنة 1
قسم اللغة العربية و آدابها

آراء الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب اللسانية

من خلال كتابه "بحوث و مقالات في اللغة"

دراسة نقدية في ضوء علم اللغة الحديث

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان
تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالب:

إشراف الأستاذ الدكتور:

العبد بن حنيش

الشريف ميهوبي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د محمد بوعمامة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
أ.د الشريف ميهوبي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا و مقررا
أ.د الجودي مرداسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشا
د. زينب دواوي	أستاذ محاضر	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

1439-1438 هـ / 2017-2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عبدالله

مقدمة

لقد شكّل القرن التاسع عشر منعطفًا حاسمًا في تكوين الفكر اللساني العربي و ظهر وعي بضرورة التغيير لتحسين الأوضاع و بهذا ظهر أنموذجان هما: أنموذج الحضارة الغربية الذي استوعب بنفوذه كل مظاهر العصر، و أنموذج عربي إسلامي شكّل و لا يزال تعبيرًا عن الذات و تراثًا يحفظ الهوية. و من هذا المنطلق يتمثل الموقف من اللسانيات في الفكر العربي الحديث في تيارين كبيرين، الأول ضدّ اللسانيات في البحث اللغوي العربي الحديث لأسباب متباينة، نذكر منها: التشريف الذي حظيت به اللغة العربية لارتباطها بالقرآن الكريم، و الذي جعل قدسيّتها من قدسيّته و مكانتها من مكانته، و عدم اقتناع العرب بالتفريط في الإرث اللغوي الغزير الذي أوجدته الأحقاب الحضارية واتباع الوافد الغربي، هذا إلى جانب تغافل الغرب عن هذا الموروث اللغوي العربي و عدم إعطائه المكانة التي يستحقها مما أدى إلى ردّ فعلي عكسي للوقوف ضدّ اللسانيات في البحث اللغوي الحديث، منهم "جورج مونان" في كتابه "تاريخ علم اللغة إلى نهاية القرن العشرين" و "بلوم فيلد" في كتابه "اللغة"، هذان اللغويان الغربيان اللذان لم يتحدّثا عن الفكر اللغوي العربي القديم، بل وصل الأمر بهما إلى تقزيمه، ذلك كان سببا في رفض العرب اللسانيات ككل، ثمّ إنّ اللسانيات الحديثة انطلقت من الدراسات الأوروبية، و لهذا خلصت إلى نتائج لا ينطبق أغلبها على العربية، و لأنّ اللسانيات الحديثة بحثت أوجدته ظروف اللغات الأوروبية التي تختلف في انتمائها و تكوينها و بيئاتها و شعوبها المتكلمة بها.

و اللغة العربية لا توصف إلا بواسطة النحو العربي، و اللسانيات إنتاج غربي لا بدّ أن تكون ثمرتها لخدمته لا لخدمة اللغة العربية، أي سوء تقويم الوافد الغربي علينا و من الأسباب الأخرى التي استند إليها الرافضون للسانيات الغربية تعصّب المحدثين بتراثهم اللغوي القديم و الضخم، واتخاذهم مبدأ تقليد الأسلاف أفضل من تقليد الغرب و اقتناعهم بفكرة تقليد القريب ثقافيا أفضل و أولى من الغريب حضاريا.

هذا إلى جانب ربط اللسانيات بالاستعمار، لأنّها من صنيع الغرب، و صورة اللسانيات من صورة الغرب في الفكر العربي، لذا شكّلت هذه المعطيات أسبابا كافية للحد من أهمية كل منتج ثقافي غربي أو مادي و مقاومته مقاومة غريزية، ضف إلى ذلك

الاعتقاد الجازم بأن اللسانيات الحديثة من محطات الصهيونية التي تسعى إلى محاولة توحيد القواعد و النظم في اللغات و من ثمة طمس معالم العربية.

أما التيار الثاني، فكان مع اللسانيات الحديثة واقتنع بفكرة منشأ اللسانيات الغربي و لكن ليس الغرب هو الذي أوجد هذا العلم بشكل مطلق، بل هو إرث حضاري مشترك و ملك لحضارة الإنسان المعاصر الخارج عن نطاق الجنس و الهوية و العرق، بل أمن بأن الفرق بين دراسة اللغة بين علماء العربية القدامى و اللغويين المحدثين ناجم من الغاية التي من أجلها درس كل واحد منهما اللغة، لأنّ القدامى نظروا إليها نظرة مقدّسة لارتباطها بالقرآن الكريم في حين أنّ المحدثين درسوها على أنّها ظاهرة اجتماعية و كائن حيّ تطرأ عليه التطورات و التغيرات، فالدراسات اللغوية القديمة إنسانية تتمثل في علاقة اللغة بالإنسان الذي يتكلمها، أما اللسانيات الحديثة فهي دراسة علمية تكمن في علاقة اللغة بعضها ببعض، بل هي استمرار للخط الحضاري الحديث ذي الطابع العلمي التكنولوجي و هذا يترتب عنه أنّ منطلق التراث اللغوي العربي إنساني حضاري، أما منطلق الدرس اللساني الحديث علمي تكنولوجي، كما أنّه اقتنع أيضا بأنّ اللسانيات الحديثة تحمل و عدا صادقا بإعادة وصف اللغة العربية نحوا و صرفا و معجما لا إعادة اللغة نفسها، و العربية باقية ببقاء مركزها اللغوي و مصدرها الذي هو القرآن الكريم، فلا خوف عليها من منهج حديث يقيها و يفسرها ما دام لا يلغي وجودها.

ثم إنّ الغربيين لم يهملوا التراث اللغوي العربي بشكل مطلق بدليل أنّ الكثير من العلماء الغربيين قد اهتموا بالعربية دراسة و تحليلا و استطاعوا الإجابة عن الكثير من القضايا و المشاكل العالقة في العربية، و يتمثل ذلك في جهود المستشرقين في الدرس اللغوي العربي بحكم إحاطتهم باللغات السامية الأخرى. و بهذا عدّ هذا الاتجاه اللسانيات علما صديقا يدرس اللغة بآليات علمية و أسلوب علمي يسعى من خلاله إلى إعادة تنسيق و تحديث التراث.

و في ظلّ هذا ظهرت في البحث اللساني العربي الحديث اتجاهات متباينة يمكن إجمالها في ثلاثة أقطاب مختلفة، الأول تراثي يسعى إلى إعادة إنتاج الموروث اللغوي العربي بصيغته القديمة نفسها و الثاني حدثي تجديدي يحاول أن يتبنى المسار اللساني

الجديد بكل تفصيلاته و يعلن القطيعة مع الاتجاه الأول و الثالث يحاول التوفيق بين المتنافرين و يهدف إلى محاولة الجمع بين القديم (التراث اللغوي العربي) و الجديد و المتمثل في البحث اللساني الحديث في إطار ما يسمى بإعادة قراءة التراث اللغوي العربي وفق المناهج اللسانية الحديثة، لأنّ الطابع اللساني الذي اتخذته اللسانيات العربية قادها إلى أن تتوجّه نحو التراث اللغوي العربي القديم و نحو اللسانيات الحديثة لإنتاج نموذج لساني ساعيا إلى إقامة حوار مثمر بين الفكر اللغوي القديم و الفكر اللساني الحديث و التوصل إلى إدخال مفاهيم اللسانيات الحديثة مع مفاهيم التراث ليثمر ثمارا مفهومية جديدة و حصيلة معرفية ليست صورة مشوهة للتراث.

و يعدّ الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب رائدا من رواد الاتجاه التوفيقي في درس العربي الحديث و أحد الباحثين الذين سعوا إلى خدمة التراث اللغوي العربي بأفكار ذات التوجّه التراثي الحدائي و بأسلوب يجمع بين الأصالة و المعاصرة و يستمد معالمه من مناهج درس اللساني الحديث قصد إزالة الغموض عن كثير من القضايا اللغوية المتعلقة بالعربية الفصحى و لهجاتها القديمة و الحديثة، يظهر ذلك من خلال كتبه المختلفة و في مقدّمها كتاب بحوث و مقالات في اللغة.

و كتابه "بحوث و مقالات في اللغة" الذي ألقاه سنة 1982م و الذي نال به جائزة آل البصير السعودية في الدراسات اللغوية، يعدّ من أبرز الكتب التي تناولت قضايا لسانية مختلفة من التراث وفق المنهج التوفيقي، و وفق المناهج اللسانية الحديثة، هذا الكتاب الذي يتضمّن النظريات اللغوية الجديدة التي أبدعها الأستاذ رمضان عبد التواب و التي كشفت عن أسرار العربية و أصبحت نبراسا للباحثين و الدارسين، يوظفون أدواتها و قواعدها في بحوثهم و تطبيقاتهم.

وتأثرا بهذه النظريات اخترت أن يكون عنوان بحثي "أراء الدكتور رمضان عبد التواب اللسانية من خلال كتابه" بحوث و مقالات في اللغة، دراسة نقدية في ضوء العلم الحديث والذي أستهدف من خلاله إبراز هذه الآراء، وتوضيح هذه النظريات من خلال هذا المؤلف وتقييمها.

وعن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع فهي نوعان، أسباب علمية وأخرى نفسية، فأما الأسباب العلمية تتلخص فيما يلي:

1- استنتاجي من خلال دراستي لمرحلة ما بعد التدرج لمقياسي اللسانيات العربية والجهود اللغوية عند العرب حديثاً بأن الدكتور رمضان عبد التواب أحد أعمدة الفكر اللساني العربي الحديث، ويعتبر تجربة لسانية رائدة لها آراء لسانية جديدة تتعلق بالعربية الفصحى.

2- إيجادي لتنوع القضايا اللسانية التي تناولها المؤلف وفق مناهج لغوية حديثة أسفرت عن تبني آراء لم يسبق إليها.

3- استنتاجي علمية هذه الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب.

4- قلة الدراسات التي تناولت فكر رمضان عبد التواب قياساً إلى لغوي عصره.

5- تأكيد قدرة رمضان عبد التواب على العرض المتقن والمنظم وفهمه الدقيق الواعي لنصوص التراث.

أما عن الأسباب النفسية فهي تتلخص فيما يلي:

1- ميولي إلى الدراسات اللسانية الحديثة وجهود اللسانيين العرب المحدثين.

2- إعجابي بالمسائل اللغوية التي ناقضها الدكتور رمضان في كتابه بحوث ومقالات في اللغة، وفق مناهج لغوية حديثة.

3- انبھاري بآراء الدكتور رمضان عبد التواب في الكتاب المذكور، والتي كشفت عن حقيقة الفصحى ووضحت الصحيح من الخاطئ وصححت الكثير من الأخطاء والأوهام العالقة في الأذهان.

4- حب تقييم هذه الآراء، ومن ثمة تأكيد دور رمضان عبد التواب في خدمة العربية والدرس اللغوي العربي.

وتحقيقاً لهذا المسعى حاولت أن أسير في هذا البحث على خطة متدرجة، فجاءت مادة الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

فالتمهيد قسمته إلى محورين، الأول منهما تناول التعريف بشخصية الدكتور رمضان عبد التواب وسيرته العلمية، أما الثاني فخصصته للحديث فيه عن كتابه "بحوث ومقالات في اللغة"، وما يمكن أن يعرفه القارئ عنه ف جاء التمهيد في شكل وصف للكتاب شكلا ومضمونا.

والفصل الأول خصصته لإبراز أهم المسائل اللغوية التي عالجها الدكتور رمضان عبد التواب على مستوى نشأة اللغة، المسائل الصوتية، والمسائل الصرفية، ثم وضحت مواقف وآراءه الجديدة قبل أن أقيمها في ضوء علم اللغة الحديث.

أما الفصل الثاني فخصصته للحديث عن القضايا النحوية التي حلها الدكتور رمضان عبد التواب وناقشها، كالقياس والتعليل، الاحتجاج والشذوذ، هذا إلى جانب مسألتني الدعوة إلى تيسير النحو واستبدال الخط العربي، مع توضيح مواقف وآراء المؤلف في هذه المسائل وتقييمها.

والفصل الثالث والأخير فقد خصصته للحديث وتوضيح القضايا الدلالية والمعجمية التي نوقشت في هذا الكتاب مع توضيح مواقف وآراء المؤلف فيها مع تقييمها. وفي الخاتمة أوجزت فيها ما استطعت أن أتوصل إليه من نتائج أثناء هذه الرحلة البحثية.

وقد اعتمدت في طريقة دراسة الموضوع على المنهج الوصفي التحليلي النقدي كون هذا المنهج له خصائص تسهل للباحث الفهم والاستنتاج.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث واجهته عدة صعوبات أذكر على رأسها سعة الموضوع بحكم سعة وفكر وعلم وآراء الدكتور رمضان عبد التواب، وتنوع المسائل التي عالجها قلة الدراسات التي تناولت فكر جهود وآراء رمضان عبد التواب، ضف إلى ذلك ما يحيط بالباحث من ظروف معرقة، و الحقيقة لا نشكو من وقع الصعوبات لأنها هي التي تعطي النكهة والجدية في البحث.

وأشير إلى أن هذا البحث استند إلى مجموعة من مصادر والمراجع، لكن المتفحص فيه بإمكانه يجد كتاب "بحوث ومقالات في اللغة"، وبعض المراجع هي طغى استعمالها وذلك يعود إلى طبيعة الموضوع الذي يتناول الآراء اللسانية عند الدكتور رمضان عبد

التواب من خلال المؤلف السابق ذكره أولاً، وإلى قلة المراجع التي تناولت هذا الموضوع ثانياً.

وفي الختام أتقدم بالشكر الوافر والتقدير الخالص إلى كل من مدّ لي يد المساعدة في إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر أستاذي الفاضل المشرف الأستاذ الدكتور الشريف ميهوبي فله فائق التقدير والاحترام وجزيل الشكر والعرفان، والشكر الجزيل والتقدير للأستاذ الدكتور محمد بوعمامة لكونه رئيس المشروع "اللسانيات العربية"، والذي أتاح لنا فرصة دخول مجال البحث العلمي، ولم يبخل بتوجيهاته وإرشاداته العلمية للنجاح. كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل للسادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة عن المجهود الذي سببذلونه في تصويب هذا البحث.

عناصر التمهيد

1- التعريف بالباحث رمضان عبد التواب:
أ- اسمه الكامل.

ب- مولده.

ج- نشأته العلمية.

د- رمضان عبد التواب في المعهد الديني الأزهرى.

هـ- رمضان عبد التواب في كلية دار العلوم.

و- المسار الوظيفي للأستاذ رمضان عبد التواب.

ن- مؤلفاته.

ي- وفاته

2- التعريف بكتاب "بحوث و مقالات في اللغة".

أ- أسباب تأليف الكتاب.

ب- أبعاد الباحث من المؤلف.

ج- أصل كتاب "بحوث و مقالات في اللغة".

د- وصف كتاب "بحوث و مقالات في اللغة" شكلا و مضمونا و

منهجاً.

هـ- آراء تلامذته في منهجه و كتبه.

يعتبر الدكتور رمضان عبد التواب أحد رواد الفكر اللساني عند العرب خلال النصف الثاني من القرن العشرين، «ومن أبرز اللغويين العرب النشطاء الذين أثروا المكتبات العربية بالكثير من الدراسات اللغوية وتحقيق كتب التراث وذلك بأسلوب سهل ميسر تعضده الحجج والأدلة اللغوية والتاريخية¹»، فمن يكون هذا العالم اللغوي ياترى؟
المولد:

الدكتور رمضان عبد التواب عالم لغوي مصري حديث ومعاصر «ولد صباح يوم الجمعة 23 رمضان 1348هـ الموافق لـ 21 فبراير 1930م بقرية قيلوب التابعة لمحافظة القليوبية، وقد سمي بهذا الشهر تيمنا به وأملا في النيل من بركته»².
نشأته العلمية:

تلقى الدكتور رمضان عبد التواب تعلمه الأول بالمدرسة الأولية، وفيها تعلم مبادئ اللغة وحفظ القرآن وسنه لا يتعدى عشر سنوات، وكان تقديره ممتاز في المرتبة الأولى. وفي المرحلة الثانية مرض بحمى التيفويد وترتب عن ذلك عدم حضوره الامتحان وفي العام التالي وفي بداية الموسم الدراسي الجديد دخل مدرس الفصل، فلما رآه غضب جدا وقال له: أنت الأول تعيد العام؟! ثم أخذه إلى ناظر المدرسة وأعلمه بما حدث وأقنعه بوجوب إجراء امتحان ثان لرمضان عبد التواب، وقد أجري له الامتحان فعلا، فكان ناجحا وأنتقل مع زملائه إلى المرحلة الثالثة وكان ناجحا دائما بامتياز، وبرتبة أولى. ومنذ ذلك الحين انكب على الجدية في التعلم والاجتهاد المستمر استعدادا لدخول المعهد الديني حيث أنه أتم حفظ القرآن الكريم في سنة ونصف، وسعى إلى فهم معانيه معتمدا في ذلك على كتب التفسير التي وجهه إليها شيخه، كتفسير الجلالين. ومن المدرسة الأولية انتقل إلى المعهد الديني الأزهرى.³

¹ - رمضان عبد التواب. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <http://sor-wikipedia.org/wik>

² - أنظر: مواليد 1930م جامعة عين شمس www.ektab.com

³ - رمضان عبد التواب. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <http://sor-wikipedia.org/wik>

رمضان عبد التواب في المعهد الديني الأزهرى

بعد النجاح الذي حققه الدكتور رمضان عبد التواب في مراحل التعليم الأولى انتقل إلى المعهد الديني الأزهرى، وهناك واصل اجتهاده إذ درس الفقه وعلوم العربية والنحو والصرف، وتمكن من حفظ ألفية ابن مالك وهو وفي السنة الأولى. هذا الاجتهاد مكنه من النجاح مما ساعده في الانتقال من هذا المعهد إلى كلية دار العلوم.

رمضان عبد التواب في كلية دار العلوم:

في كلية دار العلوم واصل رمضان عبد التواب جهوده التعليمية حيث أنه انكب على المطالعة والقراءة المستمرة في كتب كبار الأدباء أمثال: طه حسين، العقاد، الراجزي، وقد حفظ الكثير من الشعر القديم، مما سمح له من التخرج سنة 1956 بمستوى عال وبترتيب أول وبتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف. وبعد تخرجه سجل في السنة التمهيديّة للماجستير وفي الوقت نفسه عين مدرسا بمدرسة النقراشي الإعدادية النموذجية.¹

ولما أعلنت كلية الآداب جامعة عين شمس عن بعثة إلى ألمانيا مدتها خمس سنوات تخصص فقه اللغة العربية، للحاصلين على شهادة اللسانس في اللغة، وللذين تتوفر فيهم شروط: الكفاءة، التخصص، التقدير الجيد، اغتم الفرصة وتقدم رفقة ثلاثة عشرة طالبا إلا أنه كان الوحيد الذي تتوفر فيه الشروط المطلوبة من قبل إدارة الكلية، فاختار السفر إلى ألمانيا وتخلّى عن التدريس في منصب الإعادة الذي عرض عليه من قبل الكلية.

وفي ألمانيا التحق بجامعة ميونيخ لتحضير شهادة الماجستير والدكتوراه في اللغات السامية، وتعلم على أيدي أساتذة مهرة ومتخصصين في الدراسات اللغوية أمثال: يوهان فك، هانز فير، أوتوشيبس، وريتروزلهاميم. كما أنه أتقن عدة لغات مثل: الألمانية السريانية، الأكادية، الإنجليزية، والعبرية،....²

من جامعة ميونيخ تحصل على الماجستير والدكتوراه وعاد إلى مصر سنة 1963 وفي حقيبته دكتوراه دولة في اللغات السامية، وبمستوى علمي عالي ذلك ما أهله من تقلد عدة مهام ووظائف وهي:

¹ - الموقع السابق.

² - الموقع نفسه.

المسار الوظيفي للدكتور رمضان عبد التواب:

- بعد عودته من ألمانيا عام 1963 تدرج في الوظائف التالية:¹
- أستاذ معيد بكلية الآداب جامعة عين شمس ابتداء من 1963.01.09.
- أستاذ العلوم اللغوية بكلية الآداب جامعة عين شمس من 1974.08.01.
- وكيل كلية الآداب جامعة عين شمس لشؤون التعليم والطلاب من 1980.09.24.
- عميد كلية الآداب جامعة عين شمس من 1982.01.21.
- عميد كلية الآداب جامعة عين شمس للمرة الثانية من 1985.02.05.
- رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس من 1986.09.01.
- بالإضافة إلى هذا تقلد منصب العضوية في الهيئات العلمية والندوات وهي:
- عضو الجمعية الدولية للأبحاث الشرقية (IGOF) منذ عام 1964.
- عضو مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية عام 1971.
- خبير اللهجات العربية بالقاهرة عام 1978 .
- عضو ندوة اللهجات العربية بجامعة أسيوط في مارس 1981.
- عضو الندوة الأولى عن التراث العربي بالقاهرة أبريل 1981.
- عضو ندوة الشيخ جلال الدين السيوطي بجامعة أسيوط أبريل 1982 .
- مقرر اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين (اللغات الشرقية) 1983.
- ممثل جامعة عين شمس في الإحتفال بالعيد الخمسين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة 1984.
- عضو مؤتمر التراث والمعاصرة المنعقد بجامعة المنيا 1984.03.17.
- عضو لجنة المصطلح النقدي في جامعة فاس نوفمبر 1986.
- عضو مؤتمر النقد الأدبي المنعقد في جامعة اليرموك بالأردن جويلية 1982.
- عضو ندوة (المداخلة اللغوية بين اللغة العربية واللغات الرومانسية) المنعقدة في مدريد اسبانيا ديسمبر 1990.

¹ - الموقع السابق.

عضو مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الدينية الموسع للحفاظ على التراث العربي والإسلامي، المنعقد في جاكرتا باندونيسيا في أكتوبر 1997.

مؤلفات الدكتور رمضان عبد التواب:

لم يكن الدكتور رمضان عبد التواب منشغلا بالتعليم في الجامعة، أو العضوية في الهيئات العلمية و الندوات والمؤتمرات فقط بل انكب على البحث والتأليف والترجمة والتحقيق، وكانت جهوده في هذا الحقل جبارة أثمرت عن المؤلفات التالية:

في مجال التحقيق:¹

حقق أكثر من 30 كتابا، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- لحن العوام، لأبي بكر الزبيدي. القاهرة 1964.
- ما يذكر ويؤنث من الإنسان واللباس، لأبي موسى الحامض. القاهرة 1996.
- المذكر والمؤنث لابن فارس اللغوي. القاهرة 1969.
- المذكر والمؤنث لأبي العباس المبرد. القاهرة 1970.
- زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء، لأبي البركات بن الأنباري. بيروت 1971.1987.
- مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة. القاهرة 1972.
- المذكر والمؤنث لأبي زكريا الفراء. القاهرة 1975 ط1. 1990 ط2.
- التطور النحوي للغة العربية، لبرجشتراسر. القاهرة 1982.
- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي (الجزء الأول) الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة 1990.
- الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام. (الجزء الأول). القاهرة 1986.
- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي (الجزء الثاني). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة 1990.

¹ - الموقع السابق.

في مجال الترجمة:

ترجم الدكتور رمضان عبد التواب إلى العربية الكتب التالية:

- اللغات السامية. لتيودور نولدكه. القاهرة 1963.
- تاريخ الأدب العربي. لكارل بروكلمان (ج.4.ج.5). القاهرة 1975م.
- فقه اللغات السامية. لكارل بروكلمان. الرياض 1977م.
- العربية دراسة في اللغة واللهجات والأساليب. ليوهان فك. القاهرة 1980م.

في مجال التأليف:

لم تكن جهود رمضان عبد التواب منصبة على التحقيق والترجمة فحسب، بل تعدت إلى التأليف والإبداع بعد التقريب في التراث اللغوي العربي، فكانت مؤلفاته كثيرة ومتنوعة المضامين وهذه الأخيرة هي:¹

- لحن العامة والتطور اللغوي. القاهرة 1976م.
- فصول في الفقه العربية. القاهرة 1973م ط1. 1980م-1982م ط2. 1983م ط3.
- اللغة العبرية قواعد ونصوص ومقارنات باللغة السامية. القاهرة 1977م.
- نصوص من اللغات السامية مع الشرح والتحليل والمقارنات. القاهرة 1979م.
- في قواعد الساميات - العبرية والسريانية والحبشية مع النصوص والمقارنات. القاهرة 1981م ط1-1983م ط2- 1988م ط3.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. القاهرة 1982م-1985م.
- التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه. القاهرة 1981م-1983م-1990م ط3 مزيدة.
- بحوث ومقالات في اللغة. القاهرة 1982م-1988م. هذا المؤلف الذي نال به جائزة آل البصير السعودية سنة 1983م.
- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين. القاهرة 1986م.
- دراسات وتعليقات في اللغة. القاهرة 1994م.
- العربية الفصحى والقرآن الكريم أمام العلمانية و الاستشراق. القاهرة 1998.

¹ - الموقع السابق.

المقالات والبحوث العلمية:

للدكتور رمضان عبد التواب 130 بحثا علميا ومقالة جمعت في كتاب تحت عنوان "دراسات لغوية" من قبل تلاميذه وأهدي له بمناسبة عيد ميلاده السبعين.¹ كما أنه أشرف على ما يزيد من ألف أطروحة للماجستير والدكتوراه في مصر والوطن العربي كما أنه ناقش الكثير من الرسائل العلمية في الماجستير والدكتوراه في مصر والوطن العربي وأوروبا.

وفاته:

انتقل الدكتور رمضان عبد التواب إلى جوار ربه في الثامن من جمادى الثاني عام 1422هـ الموافق ل 27 أوت 2001م عن عمر يناهز الواحد والسبعين سنة.² الشطر الأكبر منها قضاها في التعلم والتعليم والتأليف في سبيل إعلاء لغة القرآن وخدمة العربية والدرس اللغوي العربي الحديث أولا والتراث ثانيا. وإذا الدكتور رمضان عبد التواب قد مات جسديا فإنه لم يمت علميا وفكريا، بل ترك جهودا ومآثر خالدة خلدت اسمه في تاريخ الدرس اللغوي التراثي، والدرس اللغوي الحديث يستلهم منها الدارسون المحدثون الفكر والمنهج والآراء، ويستندون إليها في بحوثهم.

وإذا كان الدكتور رمضان عبد التواب من ثلة (الاتجاه التاريخي المقارن)، وإذا كانت مآثره المختلفة متعددة الاتجاهات بين التحقيق والترجمة والتأليف، فإنه يبقى كتابه "بحوث ومقالات في اللغة" من بين ابرز الكتب التي تتضمن إعادة النظر في عدة قضايا من التراث اللغوي العربي، ومن المؤلفات التي تترجم منهج وطريقة الباحث في البحث وتعطي ملامح عن مستوى الفكر والتنظير الذي بلغه. هذا الكتاب الذي نعرف به فيما يلي:

¹ - الموقع السابق.

² - الموقع السابق.

التعريف بكتاب "بحوث و مقالات في اللغة":

يعد كتاب "بحوث ومقالات في اللغة" من أهم المؤلفات التي إلفها الدكتور رمضان عبد التواب، ومن أهم المراجع العلمية التي تتضمن الكثير من آراء المؤلف اللسانية في لسانيات التراث اللغوي العربي.

"والمصفح في بحوثه ومقالاته سوف يقف على الكثير من الآراء والأفكار التي يعد هو رائدها وصاحبها الحق، وهذا المؤلف يعد مرجعا علميا ثريا يترجم براعة الدكتور رمضان عبد التواب وقدرته على العرض المتقن والمنظم وفهمه الدقيق والواعي لنصوص التراث وما تحمله من قضايا متنوعة"¹.

أسباب تأليف الكتاب :

لعل من بين الأسباب التي دفعت بالدكتور رمضان عبد التواب إلى البحث و الكتابة والتأليف ما يلي :

-اطلاعه الواسع في التراث اللغوي العربي الذي كتبه أسلافنا وفهمه الدقيق لنصوصه وما يحتويه من قضايا ومسائل لغوية يكتنفها الغموض وتحتاج إلى إعادة نظر ومن ثم تنقيتها من الشوائب الأوهام.

-عدم إعجابه بمختلف التحاليل التي قالها الأوائل في معرض تحليلهم للقضايا اللغوية.
-الرغبة في تطبيق مناهج الدرس اللساني الحديث على العربية الفصيحة ومن ثم تحديد أصولها الحقيقية وخصائصها الدقيقة.

-اقتناع الدكتور بأن التراث اللغوي ليس قرآنا منزلا بل فيه قضايا متشعبة و متداخلة تستدعي البحث من جديد و تحتاج إلى تفصيل و تنظيم.

العوامل التي ساعدت المؤلف على البحث²:

لقد تضافرت مجموعة من العوامل كانت سندا معيننا وأساسيا للدكتور رمضان عبد التواب في البحث والتأليف، وهذه الأخيرة تتخلص فيما يلي:

¹ - البيهناوي، مقال: الجهود اللغوية عند رمضان عبد التواب، هؤلاء علمونا، الكتاب التذكاري الأول، كلية الآداب، جامعة عين الشمس.

² - ينظر مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في المصادر و الأسس النظرية و المنهجية، ص83.

1. معرفته الواسعة وفهمه الجديد والدقيق للتراث اللغوي العربي القديم و مختلف مستوياته الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية و المعجمية.
2. فهمه الجيد لأسس البحث العلمي السليم، و تفقهه في مبادئ و أسس مناهج الدرس اللساني الحديث.
3. إجادته للكثير من اللغات و في مقدمتها : اللغات السامية أولا واللغات الهندو أوروبية كالألمانية والانجليزية... الخ.

أبعاد الباحث من المؤلف:

إنّ تأليف الباحث لهذا الكتاب الذي يتضمن تحليلا و تعليلا لظواهر لغوية من التراث ليس الهدف من ذلك الإشهار بالمساوئ بل في نظرنا عمله كان جديا لتحقيق الأهداف التالية:

- تصحيح بعض الأوهام اللغوية التي كانت قد تجدرت في أذهان بعض اللغويين العرب القدامى.
- تخليص المسائل اللغوية التي تناولها في الكتاب من الجدل و الفلسفة.
- إضفاء السمة العلمية في الدرس اللغوي العربي و إعطاؤه صورة حقيقية واضحة عن العربية و إثبات قداستها و سموها إلى مصاف اللغات الحية.
- الرد على هجمات و مزاعم بعض المحدثين الذين ينعتون العربية الفصحى بالتعقيد و عدم استطاعتها مواكبة العصر.

ج) أصل كتاب "بحوث ومقالات في اللغة"

إن كتاب "بحوث و مقالات في اللغة" كان في بداية الأمر جملة من المحاضرات و البحوث التي ألقاها الدكتور رمضان عبد التواب ثم نشرها في شتى المجالات العلمية في مصر و بعض مجلات الوطن العربي كمجلة مجمع اللغة العربية في كل من مصر و دمشق.¹

¹ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص 02.

كما أن بعضها نشر في المجلة التذكارية للمستشرق الألماني "شبيتالر" وبعضها الآخر نوقشت في مجالس ومؤتمرات المجمع اللغوي بالقاهرة.¹

إن هذه البحوث وهذه المقالات لم تجمع في مؤلف واحد إلا بعد أن أعاد الباحث تنقيتها و تعديلها بالحذف والإضافات وكان إخراجها في كتاب واحد بعنوان "بحوث و مقالات في اللغة" بطلب و إلهاح شديدين من قبل زملاء الدكتور من طلبة و أساتذة. "هؤلاء الذين اعجبوا بقضاياها و مضامينها و مختلف المناهج المطبقة فيها و الآراء التي تبناها الباحث من خلالها.

وقد كان إخراج الكتاب و طبعه لأول مرة في شكل جامع لهذه البحوث وهذه المقالات عام 1982، التاريخ الذي ظهرت فيه طبعته الأولى، و به تمكن الأستاذ من نيل جائزة آل البصير السعودية في الدراسات اللغوية إعجاباً بالمحتوى و تثمينا للجهـد و اعترازاً بالبحث و تشجيعاً للباحث.

(د) وصف كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

يتكون الكتاب من مائتين و ثمان وثمانين صفحة (288)، هذه الصفحات قسمت إلى مقدمة وستة "6" أبواب و كل باب يتكون من فصلين أي:

بمجموع اثنتي عشرة فصلاً، هذا إلى جانب فهرس للموضوعات و قائمة للمصادر و المراجع في البحث باللغتين، العربية و الانجليزية و الألمانية. تضمنت المقدمة توضيحات دقيقة عن المؤلف قبل الطبع، أسباب الطبع، موقف الأساتذة و الطلبة منها أما عن الأبواب و الفصول فقد كانت كما يلي :

الباب الأول : خصصه لتناول مسائل صوتية تتعلق بأصوات اللغة العربية، وذلك عبر فصلين:

الفصل الأول: تحدّث فيه عن صوت "القاف" بين الفصحى و اللهجات و حدّد مخرجه و طريقة نطقه و بيّن صفاته، أما الفصل الثاني فتناول قضية المحاكاة الصوتية و علاقة الصوت بالمعنى.

¹ - المصدر السابق، ص 04.

الباب الثاني: خصص فصليه لتحليل وتفسير قضايا صرفية تتعلق بالأبنية الصرفية العربية ومسألة كراهة توالي الأمثال في الكلمات العربية، هذا إلى جانب قضايا نحوية تتعلق بظاهرة الشذوذ في النحو العربي، حقيقتها و رأي الباحث فيها.

الباب الثالث : أعدّه للحديث عن مسألة الاحتجاج وواقعه عند اللغويين العرب القدامى ومسألة شواهد سيبويه في كتابه "الكتاب"، ومن القضايا التي أثيرت في الفصل الثاني من الباب الثالث : التراث بين الحقيقة العلمية و الواقع ومدى حاجته إلى التنقية في ضوء المنهج الوصفي الذي يدرس اللغة كما هي، في ذاتها ومن اجل ذاتها.

الباب الرابع : تضمن أبحاثا عن العربية بين الواقع والتحدي وبين الجمود والتحرر.....

الباب الخامس: خصص فصليه الأول والثاني لمسائل تتعلق بأسس و أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص والتراث، وقد أبرز الباحث بعض الهفوات التي وقع فيها سابقوه من المحققين، واستطاع أن يكشف عن منهج يكاد يقترب من منهج المعاصرين في التحقيق و قد وضح مجموعة القواعد التي عرفها واستند إليها علمائنا العرب في تحقيق النصوص و أبدى رأيه فيها كما انه قام بمراجعات نقدية لتحقيقات سابقيه.

والفصل الثاني من الباب الخامس: تناول الباحث بالنقد موسوعة السيوطي الموسومة "المزهر في علم اللغة" فبين خصائصها وعين مواطن الحسن و مواطن السوء فيها معتمدا في ذلك على الحجة والدليل.

الباب السادس: خصص فصليه لتحليل مسائل لهجية كالخصائص اللهجية لقبيلة "طيء" العربية، وكذا علاقة اللهجات القديمة باللهجات المعاصرة.

ومن المسائل الجادة التي أثارها في هذا الفصل أيضا مسألة التعليمية منهجية تعليم الأطفال واكتساب السليقة اللغوية، هذا إلى جانب مسألة الخط العربي بين الحقيقة و الواقع و التحدي.....

إن كتاب "بحوث ومقالات في اللغة" وبهذا التقسيم تناول قضايا و مسائل شائكة في لسانيات التراث انطلاقا من علم اللغة الحديث، وأبرز هذه المسائل ما يلي:

مسألة نشأة اللغة ونظرية المحاكاة

مسائل صوتية تتلخص فيما يلي:

المستوى الصوتي:

- أصول بعض الأصوات العربية، صفاتها الحقيقية في العربية (القاف مثلا).
- الاحتكاك الصوتي و أثره في ميلاد صور نطقية جديدة.
- طريقة تحقيق السهولة والتيسير في العربية.

المستوى الصرفي:

- آثار بالتحليل والتعليل جملة من القضايا:
- علاقة الأصوات ببنية الألفاظ العربية.
- الأبنية الحقيقية والصحيحة لبعض الألفاظ العربية انطلاقا من علم اللغة المقارن.
- مراحل تطور بعض الألفاظ العربية انطلاقا من المنهج التاريخي.
- مسألة كراهة توالي الأمثال في الأبنية العربية.
- تناول مسألة التنظيم المقطعي للكلمات العربية.

المستوى النحوي:

- انتقد بعض المسائل النحوية من التراث مثل:
- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي.
- النحو العربي بين المعيارية والوصفية.
- انتقد التعليقات النحوية عند القدامى.
- انتقد ظاهرة التأويل والتخريج والتقدير عند النحاة القدامى.
- انتقد الشواهد النحوية القديمة ودعا إلى محاربة التحريف.
- أبدى رأيه في شواهد سيبويه.

المستوى الدلالي:

- تناول في الكتاب المسائل التالية:
- مسألة التناسب الطردي بين المبنى والمعنى كما ادعى اللغويون.
- مسألة علاقة تكرير عين الفعل بالمعنى.

- التطور الدلالي في بعض الكلمات العربية.

المستوى المعجمي:

- قيم المعاجم العربية و بين واقع حركة التأليف المعجمي قديما.
- بين مواطن النقص في المعاجم القديمة سواء من حيث المنهجية أو التبويب.
- أثار مسألة الفصل بين الفصحى و اللهجات في المعاجم القديمة.
- أكد مسألة إهمال ظاهرة التطور اللغوي (صوتيا، صرفيا، دلاليا) في المعاجم العربية.
- وضح المنهجية السليمة لنجاح المعجم والمعجمي.

التحقيق:

- اعتز بجهود القدامى في التحقيق بحكم أنهم السابقون إليه قبل أوروبا.
- انتقد منهج بعض المحققين و بين مواطن الضعف بالحجة.
- بين خطوات منهج التحقيق السليم و صفات المحقق الناجح.

اللهجات و الفصحى:

- بين حقيقة اللهجات و علاقاتها بالفصحى.
- عرض نظرة القدامى إلى اللهجات العربية.
- بين علاقة اللهجات القديمة بالمعاصرة.
- أكد ووضح خصائص العربية و المتمثلة في التجدد و الحيوية.
- وضح سبل تنمية العربية الفصحى عن طريق القياس، الاشتقاق، النحت و التعريب.

التعليمية:

تتاول الدكتور في كتابه هذا قضايا تتعلق بالتعليمية وهي: طريقة تعليم الطفل الفصحى واكتساب الملكة اللغوية، انتقد طريقة التعليم عند القدامى و بين دور الخط في العملية التعليمية، و وضّح المنهجية السليمة في التعليم و التعلم.

هـ) المناهج اللغوية المعتمدة في الكتاب:

اعتمد الدكتور في كتابه "بحوث و مقالات في اللغة" على جملة من المناهج اللغوية و هي:

1- المنهج الوصفي: يعرض المسألة اللغوية بالوصف ثم يوضح آراء سابقيه من اللغويين ثم يقيّمها و يبدي رأيه فيها، مثال ذلك عندما أعطى الوصف الحقيقي لنطق صوت "القاف" قائلاً "...انه صوت مهموس،ينطق برفع مؤخرة اللسان و إصاقها باللهاء، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ثم يزول هذا السد فجأة مع حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية".¹

فهذا الكلام يدل على أن الدكتور عالج وصف صوت القاف وصفا تجريديا وبين صفاته و طريقة نطقه موظفا في ذلك المنهج الوصفي.

2- المنهج المقارن:اعتمد الدكتور في كتابه أيضا على المنهج المقارن في معرض تحليله للمسائل اللغوية الشائكة في التراث اللغوي و القضايا التي عالجها بإسهاب, ذلك انه استند إلى المقارنة بين العربية الفصحى وبين أخواتها الساميات وبين العربية واللهجات العربية القديمة،يظهر ذلك حينما علل و فسر ما يعرف عند اللغويين القدامى بلغة "أكلوني البراغيث" والتي مفادها استحالة المطابقة بين الفعل والفاعل في العدد في حالة تأخر هذا الأخير عن الفعل ثم عللها بالشدوذ، في حين عللها الدكتور رمضان عبد التواب بالمنهج المقارن وأكد أنها لغة فصيحة (صحيحة ولها نظيرها في اللغات السامية و التراث).²

وقد عزز كلامه بأمثلة حية من الساميات تؤكد المطابقة بين الفعل والفاعل في العدد ومن ذلك ما ورد في العبرية «w0ayyamotu gamshehenmahlonwkilyon»

وترجمته الحرفية: "فمات كلاهما مطون وكليون"³

ومن الأمثلة المطابقة أيضا في الآرامية ما يلي "lyakomurasambammis pat" وترجمتها "ليقومون الأشرار بالعدل"، ومن أمثلته في الحبشية: "waboruAhzab" وترجمته "فعادوا الشعوب".⁴

¹ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص9.

² - المصدر السابق، ص69.

³ - المصدر نفسه، ص69.

⁴ - المصدر نفسه، ص69.

ونظيره في القرآن قوله تعالى "واسروا النجوى الذين ظلموا"¹، وقوله تعالى "ثم عموا و صموا كثير منهم"².

ومن اللهجات المعاصرة قدم حجة من اللهجة المصرية تؤكد هذه المطابقة وتتفي قول النحاة: أن الفعل يجب إفراده، هذه الحجج التي وظفها الدكتور كلها تحمل مؤشرات المنهج المقارن الذي برع الباحث فيه.

3- المنهج التاريخي: إن المتصفح لمضامين كتاب "بحوث ومقالات في اللغة" يجد الكثير من النماذج اللغوية التي وظف فيها المؤلف المنهج التاريخي، بل أن معظم المسائل اللغوية التي فسرها تحمل مؤشرات هذا المنهج، هذا الأخير الذي يقدر مبدأ التطور، وما يثبت الفكرة تفسيره لأصلية "سوف" و "السين" في العربية حيث انه عد السين فرعا من سوف وما وقع بينهما فقط مسألة التطور و ذلك عبر مراحل تاريخية. يقول في هذا الصدد: "بل إن سوف من الكلمات القديمة في اللغات السامية الأخرى كالأشورية، فهي (sawpa) وهي اسم معناه: فيها الغاية و النهاية ثم أصبح في العربية القديمة أداة تدل على الاستقبال في الأفعال، ثم بدأت تعاني قصا لبعض أطرافها في الفترة التي سبقت نزول القرآن الكريم، فقد ورد عن العرب قولهم: "سويكون" وسف يكون و سايكون وسيكون، وعندما جاء القرآن الكريم سجل لنا إحدى صور التطور في (سوف) أو قل : المرحلة الأخيرة منه مع الأصل الذي كان فيه ولا يزال يعيش معه جنبا إلى جنب، كما روى لنا اللغويون صور هذا التطور الأخرى التي لم يكتب لها ما كتب لغيرها.³

فهذا يدل على المنهج التاريخي حقا، ومن كلام الدكتور نجد ملامح هذا المنهج انطلاقا من توظيفه لكلمات تدل عليه.

ومن أمثلة ذلك: أقدم - أصبحت - المرحلة الأخيرة - صور التطور..... ثم انه بين أصل اللفظة سوف ثم عانت قصا عبر المراحل حتى أصبحت سينا.

¹ - سورة الأنبياء، الآية 03.

² - سورة المائدة، الآية 71.

³ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص36.

4- المنهج التقابلي: "في كتاب بحوث ومقالات في اللغة" بصمات كثيرة للمنهج التقابلي يظهر ذلك من خلال تسخير الباحث للغات الأوروبية كالألمانية والانجليزية لتفسير ظواهر لغوية من التراث. فإذا أخذنا فصلا من كلامه الوارد في المؤلف في معرض تفسيره لظاهرة كراهة توالي الأمثال في العربية قابلها بنماذج مماثلة من اللغات الأوروبية إذ يقول: "و لا تقتصر هذه الظاهرة على اللغة العربية وحدها...ومن اللغات الأوروبية مثلا كلمة "der Beamte" بمعنى الموظف في الألمانية ومثال ذلك أيضا الكلمة الألمانية: "Stipendium" بمعنى "منحة دراسية" فهي مستعارة في القرن السادس عشر الميلادي من اللاتينية STIPENDIUM بمعنى ضريبة...وهي مركبة في اللاتينية من كلمتين، أصلها STIPI-PENDIUM الكلمة الأولى Stipi بمعنى "مساعدة مالية" أو تبرع والثانية بمعنى "صرف".¹

فالأستاذ رمضان عبد التواب و كما هو ملاحظ تحجج بمثال من اللغة الألمانية لتأكيد ظاهرة كراهة توالي الأمثال في المقاطع العربية و جعل من هذه النظرية نظرية عامة تشمل جميع اللغات...وحجة الباحث دليل على المنهج التقابلي في الكتاب.

وتجدر الإشارة إلى أنه هناك مسائل وقضايا لغوية فسرهما الدارس بالاعتماد على أكثر من منهجين وهو دليل على عمق تفكير الدكتور والجدية في البحث اللغوي.

(و) النظريات التي اعتمدها الكاتب في كتاب بحوث ومقالات في اللغة :

لقد اعتمد الدكتور في دراساته الواردة في المؤلف وتحليلاته للمسائل اللغوية من

التراث على جملة من النظريات بعضها مستمد من الدرس اللساني الحديث وبعضها الآخر

من إبداعه، وهذه النظريات هي :

نظرية الركام اللغوي.

نظرية التطور اللغوي.

نظرية السهولة والتيسير.

نظرية الاقتصاد اللغوي والتي سماها باسم "الانكماش اللغوي"

¹ - المصدر السابق، ص55.

إن هذه المناهج وهذه النظريات اللسانية التي طبقت في هذا الكتاب قد مكنته من توضيح حقائق دقيقة عن العربية الفصحى.

أراء تلامذته في منهجه و كتبه:

-تتوعت مواقف الدارسين من منهج الدكتور في التحليل و الكتابة، فمنهم المؤيد و المعجب والسائر على نهجه ومنهم الناقد المعترض.

أما بالنسبة للمعجبين فمنهم الدكتور حسام البهنساوي الذي قال: "إن المتصفح لمؤلفاته والمتمعن في بحوثه سوف يقف على كثير من الآراء والأفكار التي يعد هو رائدها وصاحبها، و الحق فان هذه المؤلفات تعد بحق مراجع علمية ومصادر ثرية يرجع إليها الدارسون والباحثون، ينهلون من براعة تصنيفها وقدرة صاحبها على العرض المتقن والمنظم وفيه الدقيق الواعي لنصوص التراث و ما تحتويه من قضايا و مسائل متنوعة".¹ فهذا الكلام شهادة على مدى تفوق الدكتور فكرا ومنهجا و دقة و تنظيرا. والدكتور محمد صالح توفيق يدلو هو الآخر بدلوه ويعلن إعجابه بما قدمه الدكتور رمضان إذ يقول "الدكتور رمضان عبد التواب نجح فيما عجز عنه غيره. أتقن اللغات السامية واستطاع أن يوظفها في خدمة العربية".²

ومن المؤيدين لمنهجه وفكره;الدكتور خالد فهمي الذي عد الدكتور رمضان صاحب مدرسة و منهج تنظيري في الدراسات اللغوية إذ يقول "لقد تفرد الدكتور رمضان عبد التواب" بمنهج كان نسيجا وحده، ألف فيه على المستوى التنظيري وطبقه على النصوص التراثية التي أخرجها وحاكم به كثيرا من الكتب التي نقدها والتي راجعها فالدكتور خالد فهمي وصف رمضان عبد التواب بأنه صاحب مدرسة في المنهج وتوصل بفكره وجهده الثاقب إلى مستوى التنظير.³

¹ - البهنساوي، مقال: هؤلاء علمونا، ص79.

² - المرجع نفسه، ص119.

³ - المرجع نفسه، ص103.

أما بالنسبة للمعارضين والذين حاولوا انتقاد الأستاذ رمضان عبد التواب حمزة بن قبلان المزيني في مقال له نشر بجريدة الرياض تحت عنوان الخلل المنهجي في كتابات الدكتور رمضان عبد التواب،¹ وفيه انتقد المؤلف وكتاب بحوث ومقالات في اللغة وسعى إلى إبراز بعض الملاحظات في هذا الكتاب، هذه الملاحظات التي توصف بالنقد اللاذع وهي: الاعتراف بالنفس و إظهار الذاتية ونزعة الفخر في الكتاب بحجة أن رمضان عبد التواب يوظف ضمير متكلم المفرد.

نزعة الفخر انطلاقاً من قول رمضان عبد التواب في مقدمة الكتاب "تهافت الباحثون على تصوير نسختي الخاصة منه"،² الاستشهاد بنصوص طويلة و الإسراف في النقل على حد تعبير الدكتور حمزة بن قبلان.

إعادة رمضان عبد التواب ما كتبه في كتابي: فصول في فقه العربية، المدخل إلى علم اللغة في كتاب بحوث ومقالات في اللغة.

النقل المباشر من مؤلفات سابقه مثل الدكتور تمام حسان، والدكتور إبراهيم أنيس دون الإشارة إلى ذلك.

الإكثار من علامة التعجب في الكتاب بعد عرض الآراء.

إهمال الدكتور رمضان عبد التواب لعلامتي الاقتباس أثناء النقل.

غياب ظاهرة التقدير لآراء القدامى من قبل الدكتور رمضان عبد التواب كما ادعى حمزة بن قبلان.

هذه الملاحظات التي أباها الدكتور حمزة بن قبلان المزيني في الكتاب. واتخذها

ذريعة للحكم على أن رمضان عبد التواب لم يقدم شيئاً جديداً في كتبه كلها يقول « ذلك

أن رمضان عبد التواب لم يقدم شيئاً جديداً في كتبه كلها، بل أنه يحسن تمثيل آراء الذين

سبقوه».³

1 - حمزة بن قبلان المزيني، www.voiceofarabicnet/INDEXPHP

2 - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص3.

3 - حمزة بن قبلان المزيني، الموقع السابق.

وما يلاحظ في هذه الملاحظات التي أبدتها الدكتورة حمزة بن قبلان المزيني أغلبها شكلية ولنا أن نرد على بعضها:

مسألة الاستشهاد بنصوص مطولة في نظرنا لا شيء سوى عمق الدراسة عند الدكتور رمضان عبد التواب للمسائل اللغوية.

إعادة ما ذكر في المؤلفات السابقة بهدف تعميق دراسة الظاهرة اللغوية، لأن كثرة البحث في المسألة الواحدة تتضح حقيقتها وتقرب من الدقة العلمية.

قضية غياب علامتي الاقتباس في الكتاب ربما كان لأخطاء مطبعية.

الإكثار من علامتي التعجب ربما لأمر سلبي لاحظته المؤلف في القضية التي يدرسها، أو لغياب المنطق والعلمية فيها خاصة من قبل بعض اللغويين القدامى الذي تاهوا مع الفلسفة والافتراضات البعيدة عن حقيقة اللغة.

فكرة عدم احترام رمضان عبد التواب لآراء القدامى مبالغ فيها بدليل إننا نجده كثيرا ما يعترف بالقدامى وبآرائهم الصائبة ودليل على ذلك اعترافه برأي ابن مالك حينما قال في كتابه: التطور اللغوي «ومما يقف معنا من القدامى النحاة العلامة ابن مالك صاحب الألفية المشهورة يقول ابن مالك وجاء عن العرب: سف أفعل، سو افعل، و سي افعل وهي أغربهم حكاها صاحب المحكم واتفقوا على أن أصل سف، سو، سي سوف وزعموا أن السين أصل برأسها غير مفرعة عن سوف، ولكنها منها كنون التوكيد الخفيفة ونون التوكيد الثقيلة وهذا عندي تكلف ودعوة مجردة من الدليل. لقد اجمعنا على أن سف و سو و سي عند من أثبتها فروع سوف فلتكن السين أيضا فروعها»¹.

فكما هو ملاحظ فإن الدكتور رمضان عبد التواب يقر بكل اعتزاز وتقدير لما تبناه ابن مالك في معرض توضيحه لعلاقة السين بسوف.

إن ما ذهب إليه حمزة بن قبلان في مسألتني نزعة الفخر عند الأستاذ رمضان عبد التواب، و إعادته لمضمون كتابي: "فصول في فقه العربية" و "المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي" في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة" ليس صحيحا، إذ أننا نجده في

¹ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص141.

الكتابين السابقين قد اعتمد التفصيل في المسائل اللغوية التي علّها في هذا الكتاب الأخير و عزّزها بشروحات و أدلة متنوعة، و مستشهدا بآراء سابقيه من اللغويين المحدثين أمثال الدكتور كمال بشر، الدكتور ابراهيم أنيس، الدكتور محمود السعران ...، مع توضيح ذلك في الهوامش و تحديد الصفحات التي أخذ منها المادة العلمية بكل أمانة، و ثبت ذلك في قائمة المصادر و المراجع. أمّا فيما يتعلّق بنزعة الفخر التي اتّهم بها الأستاذ رمضان عبد التواب لا أساس لها و غير مؤسسة، لأنّ المتصحّح في مختلف كتبه يجده كثيرا ما يميل إلى الموضوعية في العرض و التحليل و المناقشة مع توظيف ضمير الجمع مثل: في رأينا، في اعتقادنا، يظهر لنا ... الخ، و هذا كله من شيم الباحث الأكاديمي.

وعلى الرغم من هذه الانتقادات الموجهة للباحث رمضان عبد التواب ولكتابه بحوث ومقالات في اللغة يبقى الدكتور رمضان عبد التواب صاحب آراء ونظريات لغوية جديدة ويبقى كتابه حاملا لآراء علمية ونظريات لغوية ومباحث جادة وضحت شيئا عن حقيقة العربية وخلصتها من أوهام القدامى من علماء اللغة، ووضحت بعض الأخطاء العالقة في الأذهان، هذه الآراء وهذه المباحث في ضوء الدرس اللساني الحديث هي مضامين الفصول اللاحقة.

الفصل

الأول:

المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

1- نشأة اللغة.

أ- نشأة اللغة عند رمضان عبد التواب.

ب- آراء الدكتور رمضان عبد التواب في ضوء علم اللغة الحديثة.

2- المسائل الصوتية في كتاب بحوث و مقالات في اللغة.

3- المسائل الصرفية في كتاب بحوث و مقالات في اللغة.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

لقد تناول الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» موضوعات شائكة كانت محل جدل واختلاف بين علماء اللغة و القدامى و المحدثين، فقد حللها و عالجها بطريقة علمية حديثة و بالاعتماد على مناهج لغوية مختلفة، كالمنهج الوصفي و التاريخي و التقابلي و المقارن، إلى جانب توظيفه لعدة نظريات جديدة كنظرية الركام اللغوي، نظرية التطور اللغوي و نظرية الاقتصاد اللغوي، هذه الأخيرة مكنته من الردّ على كلام سابقه من اللغويين أولاً و تبني آراء جديدة فيها.

و من أهم القضايا التي عالجها الدكتور رمضان ما يلي:

المسائل اللغوية عند القدامى:

1- نشأة اللغة.

قبل أن نستعرض رأي الدكتور رمضان في مسألة نشأة اللغة كما ورد في كتابه: «بحوث و مقالات في اللغة»، لا بدّ من تحديد معنى اللغة واستعراض مختلف النظريات التي قيلت في هذه المسألة.

فاللغة كما عرفها علماء الكلام: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»¹ و هي عند اليونان تعني وعاء للفكر، و عند الفلاسفة و أهل المنطق وسيلة للاتصال و التواصل و نقل الأفكار و العواطف و الرغبات بواسطة رموز صوتية. و قد عرفها المحدثون و منهم سابير على أنها وسيلة انسانية خالصة و غير غريزية لتوصيل الأفكار و الرغبات بواسطة رموز تصدر بطريقة إرادية.

و موضوع نشأة اللغة من الموضوعات التي حظيت بالبحث من قبل العلماء و الفلاسفة قديماً و حديثاً، بحيث أسفر عن ظهور نظريات و آراء حاول العلماء من خلالها تفسير نشأتها، و هذه النظريات هي:

أ- نظرية التوقيف و الإلهام:

و قد ذهب أصحابها و في مقدّمهم ابن فارس، و هو من العلماء المسلمين، إلى أنّ اللغة توقيفية و إلهام من الله سبحانه و تعالى، الله الذي أوحى إلى آدم و ألهمه أن يضع

¹ - ابن جني، الخصائص، ج1، ص33.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

أسماء لمختلف المسميات التي خلقها، و قد تحجج هؤلاء بأدلة من القرآن الكري، و دليلهم على ذلك قوله تعالى: «و علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة»¹، و المقصود بالأسماء هنا، ما يتعارفها الناس من دابة و سهل و أرض و جبل و ما شابه ذلك من الأمم، و قد فسرت هذه الآية الكريمة بقولهم إنّ الله علم آدم جميع المخلوقات بجميع اللغات: العربية، الفارسية، السريانية، العبرانية، الرومية و غيرها، فتكلم أبناء آدم هذه اللغات، و بعد أن تفرّقوا في أرجاء الأرض، نطق كل واحد منهم بلغة من هذه اللغات و هذا معناه أنّ أبناء آدم الذين تفرّقوا في أرجاء الأرض، كانوا قد تعلموا كل الكلمات و هم يعرفون أسماء الأشياء كلها. و قد انتقدت هذه النظرية بضرب من الاستحالة.

ب- نظرية المواضعة و الاصطلاح:

ترجم هذه النظرية من العرب القدامى، العلامة ابن جني الذي عرف اللغة على أنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، و قال في شأنها «إنّ أصل اللغة لا بدّ فيه من المواضعة و ذلك «كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء، فيضعون لكل منها سمة و لفظا يدل عليه، و يعني عن إحضاره و يؤمنوا إليه قائلين إنسان فتصبح هذه الكلمة اسما له و إن أرادوا سمة عينه أو يده أو رأسه أو قدمه أشاروا إلى العضو، و قالوا: يد، رأس، قدم و بالوتيرة نفسها في أسماء بقية الأشياء و في الأفعال و الحروف»².

و الانتقاد الموجه إلى هذه النظرية من قبل أهل التوقيف، يتمثل في قولهم: لو أنّ اللغة كانت اصطلاحا لاحتاج المصطلحون إلى لغة يعبرون بها»³، و لا بدّ من التوقيف في أصل اللغة الواحدة لاستحالة وقوع الاصطلاح على أول اللغات من غير معرفة المصطلحين بعين ما اصطلحوا عليه، و الجدير بالذكر أنّ ابن جني لم يتبن رأيا معينا يثبت اتجاهه، ذلك أنّه آمن بمختلف الآراء التي قيلت و أجازها جميعا و بقي مترددا، فتارة يدعي أنّها إلهام و تارة أخرى يتبنى نظرية التواضع و الاصطلاح و تارة يؤمن بفكرة

¹ - سورة البقرة، الآية 31.

² - أنظر: د. نورالهدى لوشن مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص45.

³ - أنظر المرجع نفسه، ص46.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

اللغة تقليد لأصوات الطبيعة و محاكاتها، و حججنا في ذلك ما ورد في خصائصه، إذ يقول: «هذا موضوع محوج إلى فصل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح»¹.

و في المقابل يتردد و يدعي أن اللغة إلهام من عند الله سبحانه و تعالى، و هو بهذا حذا حذو أستاذه أبي علي الفارسي، الذي سأله ذات مرة عن حقيقة اللغة و أصلها فأجابته بأنها توفيق و إلهام، يقول ابن جني: «غير أن أبا علي رحمه الله، قال لي يوما، هي من عند الله، واحتج بقوله تعالى " و علم آدم الأسماء كلها"»².

و تجدر الإشارة إلى أن ابن جني راح يؤول هذه الآية بتأويلات عقلية مستمدة من فلسفة المعتزلة ليبرهن بأن اللغة تواضع و للإنسان دخل في وضعها و هذا جاء في خصائصه «و ذلك أنه يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها و هذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة، فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به، و قد كان أبو علي - رحمه الله - قال به في بعض كلامه، و هذا أيضا رأي أبي الحسن على أنه لم يمنع قول من قال تواضع منه»³.

ج- نظرية المحاكاة:

تتلخص هذه النظرية في أن الإنسان اقتبس أسماء الأشياء من أصواتها، أو بالأحرى أن أصل اللغات هو أصوات مسموعة سمعها الإنسان الأول و أخذ يقلدها و الكلمات كانت نتيجة لتقليد أصوات الطبيعة، صادرة عن إنسان أو حيوان أو أشياء أخرى، كدوي الرياح و حنين الرعد و خرير الماء و نقيق الضفادع و نباح الكلاب. يقول ابن جني: «و ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو أصوات المسموعات، كدوي الرياح و حنين الرعد و خرير الماء و شحیح الحمار و نقيق الحمار و صهيل الفرس و نزيب الضبي، و نحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، و هذا عندي وجه صالح و مذهب متقبل»⁴.

¹ - ابن جني، الخصائص، ج1، ص40.

² - سورة البقرة، الآية 31.

³ - ابن جني، الخصائص، ج1، ص48.

⁴ - المصدر نفسه، ص47.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

و من الحجج التي احتج بها أهل هذه النظرية إلى ما نجده في بعض الأحيان من اشتراك في بعض الأصوات التي تحاكي الطبيعة في عدّة لغات، فإنّ الكلمة التي تدل على الهمس في العربية، كما تعرف «همس» و في الانجليزية «Whisper» و في الألمانية «فلوسترن Flustern» و في العبرية «صفف» و في الحبشية «قاصي» و في التركية «سوسمك Susmak»، فالعامل المشترك بين هذه اللغات هو صوت الصفير السين و الصاد، و هو الصوت المميّز لعملية الهمس في الطبيعة»¹.

و من المحدثين الذين اعتنقوا هذه النظرية، الدكتور عبد الواحد وافي، الذي ادّعى «أنّ هذه النظرية الأقرب إلى المعقول و أكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور و سنن النشوء و الارتقاء»²، هذا إلى جانب الدكتور ابراهيم أنيس، الذي يقول «تمت قوة السمع عند الإنسان قبل قوة النطق، فسمع الأصوات الطبيعية حوله»³.

أ- نشأة اللغة عند رمضان عبد التواب:

لقد أدلى الدكتور رمضان عبد التواب بدلوه في موضوع نشأة اللغة و حاول تفسير المسألة، و قد انتقد نظرية المحاكاة و كذب هذا المزعم و عدّه وهماً باطلا لا يعضده دليل علمي، و لا يخضع إلى قاعدة مطردة، و إن مسألة نشوء اللغة عن طريق محاكاة أصوات الطبيعة نظرية وهمية غير صحيحة، و قد عزّز رأيه بحجج منطقية صحيحة و مستمدة من الواقع اللغوي و بالاعتماد على علم اللغة المقارن، هذه الحجج التي تتلخص فيما يلي:

1- «غياب اشتراك اللغات في الكلمات التي تحاكي أصوات الطبيعة مثل السق و الدق و القطع و الصهيل و المواء و ما إلى ذلك»⁴.

2- اختلاف اللغات في نطق الأصوات المحاكية، و قد ضرب مثلاً باختلاف النطق العربي و النطق الألماني حين محاكاة صوت الديك على الرغم من أن صوت الديك واحد و موحد، يقول: «لقد سمعت الديك في بلاد العرب، و الديك في بلاد الألمان يصيحان بطريقة واحدة، دون أدنى فرق، غير أننا نحاكي صوت الديك، فتحولّ: كوكوكو، و يقول

¹ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص70.

² - علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص30.

³ - ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، د. ص30.

⁴ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص47.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

الألمان كيكيري»¹، و ما ذهب إليه الدكتور رمضان في هذا المقام حقيقة و واقع، لأنه لا يمكن الجزم في هذه النقطة و ما وقع من الاشتراك في بعض الحروف بين اللغات لا يمكن تعميمه و ليس خاضعا لقاعدة مطردة على مرحلة الأصوات الساذجة التلقائية، «هذه الأصوات التي كان يعبر بها الانسان الأول عن فرحه و ألمه و رضاه و نفوره و غير ذلك من الأحاسيس و المشاعر و أصحاب هذه النظرية تتبّعوا هذه الأصوات الساذجة عبر مراحل تطوّرها إلى أن صارت أفاظا»².

هذا إلى جانب نظرية الغريزة الكلامية، و يرى أصحابها أنّ أصل اللغة يرجع إلى غريزة خاصة تحمل الانسان على التعبير عن الانفعالات و الأشياء عفويا و من زعماء هذا الإتجاه، الفرنسي «فندريس» و الألماني «ماكس مولر»، و من الآراء الأخرى و النظريات التي اجتهدت في تفسير هذه المسألة، مسألة نشأة اللغة، نظرية الملاحظة و ملخصها هو أن أقدم الأصوات اللغوية تعبر عن إشارات و أعمال انسانية، و إن مشاهدة الانسان لأخيه الانسان تظهر علامات التأثر عن طريق المحاكاة العكسية، و هذا ما دفع الانسان إلى الملاحظة و بتكرار التجارب و بمرور الأيام تطوّرت الأصوات إلى كلمات و استغنى عن الإشارات»³.

من خلال ما تقدّم يتّضح بأنّ موضوع نشأة اللغة من الموضوعات التي شغلت بال العلماء و الفلاسفة و المفكرين منذ زمن بعيد، و من الموضوعات التي أسفرت عن تعدّد الآراء و النظريات و لحدّ الساعة ما زال الجدل قائما و ما زالت القضية لم يفصل فيها الشيء الذي جعل الأمر لا يزال محصورا بين الفرضيات. و على هذا الخد يتّضح بأنّ الدكتور رمضان عبد التواب ينفي فكرة نشأة اللغة على أساس تقليد و محاكاة أصوات الطبيعة، و ما تبناه القدامى في هذه المسألة مجرد وهم لا يعضده دليل علمي، و من جهة ثانية لم يرض بالفكرة القائلة بوجود علاقة طبيعية بين الاصطلاح اللغوي و الشيء الذي

1 - المصدر نفسه، ص18.

2 - ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص15.

3 - نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص51.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

وضع له ذلك الشيء، يقول: «فإنه لا يصلح أن يغيب على بالنا أنه ليس ثمة بين الاصطلاح اللغوي و الشيء الذي وضع له هذا الاصطلاح اللغوي أية علاقة طبيعية»¹.

ب- رأي الدكتور رمضان عبد التواب في ضوء علم اللغة الحديث:

إننا إذا قارنا بين ما تبناه الدكتور رمضان عبد التواب في مسألة نشأة اللغة و بين ما قاله الغربيون في القضية نجد تماثلا كاملا، ذلك أن "فندريس" من قبله قد عارض هذه النظرية و رفضها، فقال: «بعض علماء اللغة ممن هم أقرب إلينا قد تخيلوا نظريات ذهبوا بمقتضاها إلى أنّ كل المفردات قد خرجت من صيحة تشبه نباح الكلب أو من سلسلة من الأصوات توحى بتمثيل الأشياء عن طريق المحاكاة، و كان في هذا الوقت نفسه أن راح العلماء المنشغلون بالفيدا يفسرون كل الأساطير بنار البرق أو مسير الشمس...»، ما بذل من جهود بين النتاج البدائي و أقدم ما عرف من لغاتنا فراغ يتعذر سدّه»². و كذلك «سابير» الذي نفى و عارض هو الآخر فكرة نشوء اللغة بتقليد أصوات الطبيعة يقول في هذا الصدد «اعتبار اللغة نشاطا غريزيا على أن في اللغات كلمات مقلدة للأصوات الطبيعية و هم باطل»³.

مما سبق يتضح بأن الباحث رمضان عبد التواب تبني نفس الفكرة التي تبناها كل من سابير و فندريس، و تجدر الإشارة إلى أنّ رمضان عبد التواب قد تأثر بالعالم اللغوي دي سوسير، فإذا كان هذا الأخير عدّة اللغة ظاهرة اجتماعية و أنها اعتباطية و لا وجود للعلاقة بين الدال و المدلول. نجد هذا المفهوم أيضا عند رمضان، و الدليل على ذلك قوله: «فإنه لا يصح أن يغيب عن بالنا أنه ليس ثمة بين الإصلاح اللغوي و الشيء الذي وضع له هذا الاصطلاح أيّة علاقة طبيعية».

هنا و من خلال ما تقدّم، نستنتج أنّ الأستاذ رمضان عبد التواب قد تبني نظريات الدرس اللساني الحديث، و بها سعى و يسعى إلى دراسة العربية دراسة علمية وصفية

¹ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص22.

² - انظر فندريس، اللغة، ص، ص، 40، 41.

³ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص22.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

و بالأحرى نجد أن رمضان عبد التواب قد نحا منحى علماء اللغة الغربيين في معارضة فكرة نشأة اللغة عن طريق محاكاة أصوات الطبيعة.

2- المسائل الصوتية في "كتاب بحوث و مقالات في اللغة":

من القضايا الصوتية التي عالجها الدكتور رمضان عبد التواب في مؤلفه: «بحوث و مقالات في اللغة» صوت القاف التي وقع في شأنه خلاف و جدل بين العلماء من زاويتي المخرج و الصفات فالقدمى عدّوه صوتا حلقيا مجهورا، مخرجه من اللهاة، شأنه في ذلك شأن صوت «الكاف». يقول الخليل «القاف و الكاف لهويان و الكاف أرفع»¹ و ذكر سيبويه "القاف" أقصى اللسان و ما فوقه من الحنك الأعلى مخرج "القاف"².

ونقل ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب رأي سيبويه في عد القاف صوتا لهويا قائلا: "و ممّا فوق ذلك -أي مخرج الغين و الخاء- من أقصى اللسان مخرج القاف"³. القدمى إذن عدّوا هذا الصوت: القاف صوتا لهويا مجهورا.

لقد بحث الدكتور رمضان في مسألة هذا الصوت بالاعتماد على المنهج التاريخي و المنهج المقارن فأعطى تفسيراً آخر لهذا الصوت، و الدكتور رمضان بهذا البحث أدرك بأن أعضاء النطق في الإنسان في تطوّر مستمر و مطرد، سواء في أبنيتها و استعداداتها أو في منهج أدائها، و من هذا المنطلق توصل إلى أنّ صوت القاف في العربية ليس صوتا مجهورا، كما ضنّ القدمى، بل «إنّه صوت انفجاري مهموس ينطق برفع مؤخرة اللسان و التصاقها باللهاة لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق، ثمّ يزول هذا السد فجأة مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية»⁴.

كما أكدّ بأنّ هذا الصوت من الأصوات التي شهدت تطوّرًا، و كذا كان هذا الجهر نتيجة هذا التطوّر الذي حصل و هذه الصفة شائعة في اللغات السامية، كالعبرية و الآرامية و الحبشية و كذا الآشورية. هذا إلى جانب اللهجات العربية الحديثة، حيث أنّ هذا الصوت

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، ج1، ص58.

² - أنظر سيبويه، أنظر الكتاب ج2، ص405.

³ - ، ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص، ص، 113، 126.

⁴ - أنظر رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص09.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

غالبا ما يقبل همزة عند أهل المدن في مصر، فيقولون: "ألب" بدلا من "قلب"، و يقولون: "أل" بدلا من "قال".

و غالبا ما تقلب جيما غير معطّشة، "جال بدلا من قال، و جالب بدلا من قالب" و أحيانا أخرى تقلب القاف كافا، فيقولون كتل بدلا من قتل، و كالب بدلا من قالب و يقولون: كصير بدلا من القصير، و يقولون: جك بدلا من حق، و هذه الظاهرة نجدها في الشام.¹

لقد علل ذلك بمقارنة صوت القاف في العربية مع القاف في الساميات، «ففي العبرية مثلا: KOL بمعنى صوت، و في الآرامية KDAM بمعنى قدام، و في الحبشية KOMA بمعنى قام، و في الآكادية PAKAD بمعنى صرح، و هذا الصوت المهموس هو الذي الآن من أفواه مجيدي القراءات القرآنية في مصر»².

كما وضّح رمضان عبد التواب وجود تقارب نطقي للقاف بين اللهجات العربية الحديثة و الساميات قديما، يقول «و يبدو أنّ هذا النوع من التطور في القاف قديم في اللغات السامية، فقد نقل "برولكمان" عن "ليتمان"، أنّ القاف تحوّلت في أعلام الفينيقية في بعض الأحيان إلى همزة، ثم سقطت كما سقطت الهمزة الأصلية في الفينيقية»³.

و ما تبناه الدكتور رمضان عبد التواب أگده الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، يقول: «صوت القاف صوت شديد مهموس بنطق برفع مؤخرة الطبقة حتى يلتصق بالجدار لسدّ المجرى الأنفي و رفع مؤخرة اللسان حتى يتصل للهامة و الجدار الخلفي للحلق مع عد حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فينحبس الهواء ثمّ ينفجر بعد انفصال العضوين المتصلين، و عليه لا فرق بين القاف و الكاف، إلا أنّ في القاف أعق قليلا في مخرجها»⁴.

و العلة الصوتية في هذا التطور حسب الدكتور رمضان عبد التواب، تتلخص في أنّ مخرج «القاف» انتقل إلى الخلف باحثا عن أقرب الأصوات شبيها به من الناحية

¹ - أنظر رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص، ص، 10، 11.

² - رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه، ص 25.

³ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص 11.

⁴ - رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص 54.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

الصوتية، فتعمق «القاف في الحلق عند المصريين و لا يصادق من الأصوات الحلق ما يشبه القاف إلا الهزمة لوجود صفة الشدة في كل منها»¹.

إنّ الدكتور رمضان عبد التّوّاب، قد عارض القدامى في وصفهم لصوت القاف مخرجا و صفة، و أكد أنّ هذا الصوت «القاف» كان مهجورا، ثمّ تطوّر و شهد تغييرات عبر الزمن، فانقل نطقه من الجهر إلى الهمس، و ما قاله القدامى عن جهر القاف قديما ربما يعود إلى وصفه لما سمعوه عن نطق هذا الصوت آنذاك.

و على هذا الحدّ يبيّح أنّ الدكتور رمضان درس هذا الصوت دراسة علمية واعتمد على ما أقرّه علم اللغة الحديث و المتمثل في تطوّر اللغة من مستوياتها المختلف الصوتية، الصرفية، النحوية و الدلالية.²

III - المستوى الصرفي.

اعتمادا على المنهج المقارن بين العربية و أخواتها الساميات و نظرية الركam اللغوي، تمكّن رمضان من الكشف عن حقيقة بعض الألفاظ العربية و أصليتها، و من أمثلة ذلك ما يلي:

أ- أصلية "السين" و «سوف»: حيث أنّه عد «سوف» أصلية و السين متطوّرة عنها أو بمعنى أدق جعل "السين" أصلها سوف، و هما عبارة عن حرف واحد و ليس كما ظنّ القدامى بأنّ "سين" حرف مستقل يدل على المستقبل القريب و «سوف» مستقل بنفسها للدلالة على المستقبل البعيد، فهذا بهتان في نظره، و في نظره «السين فرع من سوف» و الذي حدث فقط هو تطوّر في كلمة سوف بحذف الفاء و الواو سبب كثرة الاستعمال على الألسنة و كلمة سوف هذه قديمة في اللغات السامية كالأرامية، و أكدّ هذا القرآن الكريم، و قد عدّها قديمة ثمّ بدأت تعاني نقصا لبعض أطرافها في الفترة التي سبقت نزول القرآن الكريم، و قد عزّز كلامه بمثال حقيقي و واقعي يؤكّد تأكل الألفاظ من جراء الاستعمال بتآكل القطع النقدية من جراء كثرة استعمالها و تداولها بين الناس.

¹ - رمضان عبد التّوّاب، بحوث و مقالات في اللغة، ص12.

² - أنظر ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص69.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

يقول رمضان عبد التواب «يظنّ كثير من الناس أنّ السين و سوف أداتان مختلفتان للدلالة على الاستقبال، وضعتا هكذا وضعا منذ أن خلق الله العربية، و قد خدّع بذلك نجاه البصرة و حكموا المنطق العقلي في أنّ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فقالوا: إنّ سوف تدل على الاستقبال، و ليس في نصوص اللغة ما يشهد لتكلفهم هذا، فقوله تعالى: «فسيكفيكم الله»¹، ليس معناه تحقيق الكفاية في الغد، كما أنّ قوله تعالى: « و لسوف يعطيك ربك فترضى»²، ليس معناه تأخر الإعطاء عاما أو عامين، بل إنّ الحقيقة أنّ سوف أقدم من السين، و السين جزء مقتطع منها، و سوف من الكلمات القديمة في اللغات السامية كالأرامية، فهي (SAWPA) ... ثم بدأت تعاني قصا لبعض أطرافها في الفترة التي سبقت نزول القرآن، فقد وردت عن العرب و قالوا: سو، يكون، سف يكون و سايكون و سيكون، أو قل المرحل الأخير منه مع الأصل الذي كان و لا يزال يعيش معه جنبا إلى جنب»³.

و قد عزّز كلامه أيضا بما أورده في كتابه عن ابن مالك صاحب الألفية حينما نقل صورا نطقية عن نطق السين، حينما قال: و جاء عن العرب: سف أفعال، سي أفعال ... قد أجمعنا على أنّ سف و سو و سي عند من أثبتها فروع سوف فلتكن السين أيضا فروعها»⁴.

من هذا الكلام، يتّضح فعلا أنّ السين متقطعة من سوف، و سوف هي الأصل و السين هو الفرع، و ما حدث هو تطوّر لغوي لسوف.

ب- تطوّر الأفعال المعتلة:

بناء على المناهج اللغوية الحديثة منها التاريخي و المقارن و كذا نظرية الركam اللغوي، تمكّن الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة من حل إشكالية الأفعال المعتلة، سواء الأحرف منها، مثل: قال، باع، خاف و طال، أو الناقصة

¹ - سورة البقرة، الآية 137.

² - سورة الضحى، الآية 03.

³ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص 23.

⁴ - أنظر المصدر نفسه، ص 23.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

مثل: دعا، قضى، أو من اللفيف المقرون، مثل: روى، هوى، و بذلك قضى على إشكالية الشذوذ التي كانت عالقة في أذهان القدامى من النحويين».

و قد أكد الدكتور رمضان التواب، بأنّ هذه الأفعال شهدت أربع مراحل «فكانت في أصلها أفعالاً صحيحة في مراحلها الأولى، مثل: قول، بيع، خوف، طول، دعو قضى، روي، بدليل وجود أمثالها في الحبشية، و الدليل الثاني بقاء بعض الأفعال في العربية على النمط الصحيح، مثل: عور، حور، هين واستحوذ»¹.

«و الذي حدث فيما بعد هو أنّ هذه الأفعال تطورت في المرحلة الثانية نحو التسكين أو ضياع الحركة بعد الواو و الياء للتخفيف فأصبحت: قول، بيع، خوف، قضى و رمي»². و في المرحلة الثالثة تطوّرت بسبب تحوّل الواو المفتوح ما قبلها إلى ضمة، و تحوّل الياء المفتوح ما قبلها إلى كسرة طويلة ممالأة، و هذه الظاهرة توجد في اللهجات العربية و اللغات السامية، كما في الحبشية KOMA (قام).

أمّا المرحلة الرابعة و الأخيرة فتتمثل في التحوّل من الإمالة المطلقة إلى الفتح الخالص. «و هذا التطور الذي حصل هو الذي وصلت إليه العربية الفصحى، في مثل قام باع، خاف، دعا، قضى، رمي»³.

و قد أكد الأستاذ رمضان عبد التواب مسألة هذا التطور بضرب أمثلة حيّة من اللغات السامية، و كذا اللهجات العربية القديمة و بالاعتماد على نظرية الركاب اللغوي ففي العبرية مثلاً نجد: كلمة "Set" بمعنى وضع تحولت إلى "Sat"، و كلمة "Rem" بمعنى ارتفع تطوّرت إلى "Ram"، و كلمة "ger" بمعنى سكن تطوّرت و أصبحت "gar"، و كلمة "esa" بمعنى صنع، تحولت إلى "asa"، و كلمة "ena" بمعنى أجاب تحولت إلى "ana" و كلمة "gela" بمعنى جلا تحولت إلى "gala"⁴.

بالإضافة إلى هذا فإنّ هذا التطور في الأفعال قد حصل أيضاً في اللغة الآرامية فللمة "kem" بمعنى قام تطوّرت إلى "kama" و كلمة "remé" بمعنى رمى تحولت إلى

1 - أنظر رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص59.

2 - المصدر نفسه، ص60.

3 - المصدر نفسه، ص ص 64-65.

4 - المصدر نفسه، ص65.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

"rma" و كلمة "het" بمعنى خاط تطورت إلى "hat"، و كلمة "sem" بمعنى وضع تطورت إلى "sam" و كلمة "kre" بمعنى سمي أصبحت "kra".¹ و في لغة طيء الأفعال المعتلة المكسورة العين في الماضي خضعت لهذا التطور من ذلك قولهم «رضا» في «رضي» و «فنا» في «فني» و «هدا» في «هدي» و غير ذلك.²

و بهذا الصنيع يتضح بأنّ الاستاذ رمضان عبد التواب أكد مسألة تطور الأفعال المعتلة و أكد ما ذهب إليه النحاة العرب القدامى حينما أرجعوا أصل الفعل «قال» إلى «قول» بصرف النظر عن تعليلهم الذي قالوه بعد ذلك من أنّ الواو تحركت و انفتح ما قبلها، فهذا الأصل القديم يدل على مراحل التطور لهذا الفعل و أمثاله. يقول الدكتور رمضان عبد التواب: «تلك هي مراحل تطوّر الأفعال المعتلة، و قد رأينا كيف خلفت تلك المراحل ركاما لغويا في العربية الفصحى و اللغات السامية و اللهجات العربية المختلفة و من ذلك نرى أنّ ما يقوله النحاة من أنّ (قال) أصلها (قول) صحيح بصرف النظر عن تعليلهم هذا بتحريك الواو و انفتاح ما قبلها».³

و رأي النحاة في هذه المسألة تمثل حجة و دليلا يؤكّد وجود الركام اللغوي و أصول قديمة للكلمات العربية.

و تجدر الإشارة إلى أنّ ابن جني ينكر حدوث هذا الركام اللغوي في الأفعال المعتلة الجوفاء و الناقصة على النحو الذي أورده الأستاذ رمضان، يقول «هذا الموضوع كثير الابهام لأكثر ممن نسمعه لا حقيقة تحته، و ذلك كقولنا الأصل في قام قوم، و في باع بيع، و في استقام استقوم، فهذا يوهم أنّ هذه الألفاظ و ما كان نحوها ممّا يدعى أنّ له أصلا يخالف ظاهر لفظه، قد كان مرة يقال حتى إنهم كانوا يقولون في موضع: قام زيد: قوم زيد، و كذلك نوم جعفر...، و ليس الأمر كذلك بل بضدّه و ذلك أنّه لم يكن قط مع اللفظ إلا ما تراه و تسمعه، و إنما معنى قولنا: إنه كان أصله كذا أنه لو جاء مجيء

¹ -المصدر السابق، ص65.

² - المصدر نفسه، ص65.

³ -المصدر نفسه، ص65.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

الصحيح و لم يعلل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا، فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك، ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر¹. فابن جني يتمسك برفضه وجود هذا الأصل و لا يرى ثمة ما يمكن الاصطلاح عليه الركام اللغوي، على الرغم من وجود أمثلة حية تؤكد هذا الركام، من أمثلة ذلك قوله تعالى «استحوذ عليهم الشيطان»². يقول ابن جني «بهذا و نحوه استدل أهل التصريف على أصول الأشياء المغيرة، كما استدلوا بقوله عز اسمه "استحوذ عليهم الشيطان" على أنّ أصل استقام استقوم و أصل استباع استبيع، و لولا ما ظهر من هذا و نحوه لما أقدموا على القضاء بأصول هذه الأشياء و لما جاز ادعائهم إياه»³.

و تجدر الإشارة إلى أنّ التطور اللغوي للألفاظ الذي تبناه الأستاذ رمضان عبد التواب قد استمد أصوله من علم اللغة الحديث و من نظرية فندريس الذي أكد هذا التطور قائلا: «إنّ التغيير لا يكون تاما إطلاقا، و كثيرا ما تبقى الصيغ القديمة إلى جانب الصيغ المستحدثة حتى لنلاحظ أنّ النظام العام للغات التي لها تاريخ طويل التي عانت تطورا ضخما كالفرنسية أو الانجليزية مزيجا من النظم التي تضمّ حالات مختلفة»⁴.

ج- كراهة توالي الأمثال في الأبنية العربية:

بالإضافة إلى المسائل الصرفية السابقة الذكر، عالج الدكتور رمضان في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» مسألة كراهة توالي الأمثال في الأبنية العربي، معللا أسباب هذه الكراهة و المتمثلة في صعوبة النطق و ثقلها على اللسان و كذا غياب الفصاحة فيها. و قد استند الدكتور رمضان في تعليقه لهذه الظاهرة الصرفية إلى توظيف القوانين الصوتية و نظرتي السهولة و التسيير و كذا نظرية الاقتصاد اللغوي «و المقصود بالمقاطع المتماثلة ما يشمل ذات الأصوات الصامتة المتماثلة، أو المتقاربة في المخرج

¹ - ابن جني، الخصائص، ج1، ص257.

² - سورة المجادلة، الآية 19.

³ - ابن جني، سر صناعة الاعراب، ج1، ص194.

⁴ - فندريس، اللغة، ص423.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

لكنها وصفت بالثقل و غياب السهولة و التسيير فيها، بل و فقدت فصاحتها و من ثمّ كان الحذف ههنا واجبا»¹.

و كذلك الحال أيضا حين دخول حرف الجر على المعرف بـ «أل» القمرى و يعقب الدكتور رمضان عبد التواب على ذلك بقوله: «و قد طردوا الباب على وتيرة واحدة في العامية العربية اليوم، فأصبح يقال: علباب، علمكتب، كمال يقال أيضا ع السطح و ع التراب و التي أصلها قبل الحذف: على السطح، على التراب، الشيء نفسه حين دخول حروف الجر "من" و "عن" على الأسماء المعرفة بـ "ال" القمرية، كما في قولنا: ملأ شياء، ملآن، ملحب، و التي أصلها: من الأشياء، من الآن، من الحب ...»².

و من الأمثلة الأخرى التي ساقها الدكتور رمضان لتأكيد صحة ما ذهب إليه و هو كراهة توالي الأمثال في الأبنية العربية، كلمة بني حين دخولها على الاسم المعرف بـ «ال» القمرية نحو بلحارث، بلعنبر، التي أصلها: بني الحارث، و بني العنبر، و قد وضّح الدكتور رمضان علة الحذف هنا صوتيا و هذا الحذف بحك أنّ النون قريبة من اللام و هم يكرهون التضعيف و لا يفعلون ذلك مع: بني النجار، بني النمر ...»³.

و نجد هذا الحذف أيضا مع الفعل الماضي «استطاع» و مضارعه يستطيع، فنقول: استطاع بحذف التاء و يستطيع بحذف التاء أيضا و أصلهما: استطاع و يستطيع، و الدليل على ذلك قوله تعالى في سور الكهف «فما استطاعوا أن يظهروا و ما استطاعوا له نقبا»⁴ و قوله: «ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا»⁵، من خلال هذه الأمثل المتنوعة التي تحجج بها الدكتور رمضان يتضح فعلا أنّ توالي الأمثال في الكلمات و الأبنية العربية أمر مكروه و غير محبذ، لذا كان الحل يكمن في الحذف و الإدغام و ذلك تحقيقا لمبدأ السهولة و التيسير في النطق، و التقليل من الجهد العضلي، و كذا تحقيقا للاقتصاد اللغوي.

¹ - المصدر نفسه، ص28.

² - أنظر المصدر السابق، ص44.

³ - أنظر المصدر نفسه، ص41.

⁴ - سورة الكهف، الآية97.

⁵ - سورة الكهف، الآية82.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

قد عدّ الدكتور رمضان عبد التواب هذه الظاهر عامة في جميع اللغات، و هي بمثابة قاعدة لغوية مطردة «توجد في اللغات السامية و اللغات الأوروبية بدليل أنها شائعة في اللغة الألمانية، فالألمان يقولون der Beamte بالحذف بدلا من der Beamtete و التي بالعربية "الموظف"، و لذلك يقولون: Stipendium بالحذف بدلا من الكلمة الأصلية: Stipi-Pendium، و التي تعني "الضريبة"»¹.

و ما يلاحظ من خلال ما تقدّم هو أنّ الدكتور رمضان عبد التواب قد أحسن تفسير أسباب كراهة توالي الأمثال في العربية، و ما ساعده في ذلك إجادته للقوانين الصوتية و فهمه الجيّد لعلم الأصوات و نظرية السهولة و التسيير.

و كان اعتماده على المنهجين اللغويين التقابلي و المقارن مكنه من استنتاج قاعدة مطردة مفادها اشتراك جميع لغات العالم في كراهة توالي الأمثال في الكلمات اللغوية. و الجدير بالذكر أنّ ما توصل إليه الدكتور رمضان قد أقره علم اللغة الحديث لا سيما نظريتي السهولة و التسيير و الاقتصاد اللغوي، هذه الأخيرة -نظرية الاقتصاد اللغوي- تؤكّد سعي المتكلّم إلى النطق بقدر أقل من الجهد العضلي و بقدر أقل من الأصوات و يتم ذلك بواسطة طرائق متنوعة و هي:

1- عن طريق الحذف: أي حذف بعض الأصوات من الكلمة، كما هو الشأن في الأمثلة التي عرضها الدكتور رمضان في كتابه بحوث و مقالات في اللغة.²

و من الأمثلة الأخرى التي تؤكّد حصول الاقتصاد اللغوي بالحذف، حذف الهمزة فقد ورد عن العرب أنّ البعض كان يخفف الهمز، ممّا أدى بهم إلى وضع قواعد حصروا بها قواعد الهمزة من جهات النطق بها بمراعاة حركتها أو حركة ما قبلها و ما بعدها و قد يحذفونها تماما».³

¹ - أنظر رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص55.

² - أنظر ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص، ص، 46-47.

³ - أنظر، رمضان عبد التواب "بحوث و مقالات في اللغة" و طاهر قطبي "بحوث في اللغة"، ص40.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

و قد خففت العرب الهمزة بقلبها مدا، مثل "يؤمنون" ينطقونها يومنون، و يواخذون بدلا من يواخذون بالهمز. و هناك مواطن عديدة حذفوها مثل قولهم «لخرى» بدلا من الأخرى، و قولهم «لولا» بدلا من «الأولى».

و أمّا إذا التقت همزتان فإنهم يخففون مثل: «أمن» ينطقونها أمن.

-همزة الوصل حذفوها تماما في النطق، كهمزة «أل» التعريف، مثل: الشمس، القمر.

-همزة ابن إذا وقعت بين اسمين يحذفونها تماما أيضا، نحو: علي بن أبي طالب بدلا من قولهم: علي ابن أبي طالب.

و كذلك في البسمة فينطقون: بسم الله الرحمن الرحيم، بدلا من بإسم الله الرحمن الرحيم و ذلك بحذف الهمزة¹.

2/- عن طريق الإدغام: أي إدغام صوت مع صوت آخر إذا كانا متماثلين، نحو: شدّ بدلا من شدد و مدّ بدلا من مدد.

3/- عن طريق الإبدال الصوتي، أي إبدال صوت بصوت داخل الكلمة تحقيقا للسهولة و التيسير.

نحو مزدر، بدلا من مصدر نطقا، و نحو اشتماع بدلا من اجتماع.

4/- عن طريق النحت: و هو استخلاص كلمة واحدة من مجموعة من الكلمات، مثل: البسمة التي تعني «بسم الله الرحمن الرحيم»، و الحمدلة التي تعني الحمد لله و «الحوقلة» بدلا من: لا حول و لا قوة إلا بالله.

هذه كلها بعض من الطرائق التي يلجأ إليها المتكلم للاقتصاد اللغوي و لتحقيق السهولة و التيسير، هذا على مستوى النطق، و قد يكون الاقتصاد اللغوي أيضا على مستوى الخط، فقد لجأ العرب إلى الاقتصاد في الكتابة، بواسطة الطرائق التالية:

أ-الاختزال: و بذلك بتوظيف الرموز، كأن تكتب (د.م.ج) بدلا من ديوان المطبوعات الجامعية أو (و.أ.ج) بدلا من وكالة الأنباء الجزائرية، و كذلك «الخ» بدلا من إلى آخره.

¹ - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص، ص، 46، 47.

الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصوتية و الصرفية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

ب-التتوين كظاهرة إملائية: و هو اختصار لحرف النون في آخر الاسم المنون في صورة حركة من جنس حركة الإعراب، مثل: «محمد» بدلا من محمدن، جامعة، بدلا من «جامعتن».

و من طرائق الاقتصاد اللغوي في الكتابة أيضا ما نجده في لغة الأرقام: فبدلا أن نكتب مثلا: ثلاثة و عشرون، نختصر ذلك في رقمين فقط و هما «ثلاثة» و «اثنان» أي «23».

هذا إلى جانب علامات الترقيم و الوقف كنقطة النهاية و علامة التعجب «!» و علامة الاستفهام «؟»، فهذه العلامات اختراعات لكلمات و جمل، و هي ضرب من ضروب الاقتصاد اللغوي في الحظ و الكتابة.

إنّ الدكتور رمضان عبد التواب قد أحسن تفسير ظاهرة كراهة توالي الأمثال في الكلمات العربية، انطلاقا مما أقره علم اللغة الحديث بنظرتي السهولة و التيسير و نظرية الاقتصاد اللغوي.

و من خلال ما تقدّم نستنتج بأنّ الدكتور رمضان عبد التواب قد عالج مسألة نشأة اللغة و المباحث الصوتية و المباحث الصرفية الواردة في كتابه بحوث و مقالات في اللغة، معالجة علمية استمد أصولها من علم اللغة الحديث، أي مما أقرّه هذا العلم من نظريات، كنظرية التطور اللغوي و نظرية السهولة و التيسير و نظرية الاقتصاد اللغوي.

هذا إلى جانب حسن توظيف الدكتور رمضان عبد التواب لعلم اللغة التاريخي و علم اللغة المقارن و علم اللغة التقابلي و الوصفي في الكشف عن حقائق اللغة العربية بتصحيح بعض الأوهام التي كانت عالقة في أذهان العلماء القدامى و عند بعض المحدثين. و تجدر الإشارة إلى أنّ الدكتور رمضان عبد التواب قد امتدت جهوده في كتابة بحوث و مقالات في اللغة للبحث في مسائل أخرى نحوية و دلالية و معجمية، فقد فسرها وأبدى آراءه فيها، هذا ما يتضمنه الفصل الثاني.

الفصل

الثاني:

المسائل النحوية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"

المسائل النحوية:

- 1- القياس.
- 2- التعليل.
- 3- الاحتجاج.
- 4- الشذوذ.
- 5- تيسير النحو.
- 6- الدعوة إلى العامية.
- 7- الدعوة إلى استبدال الخط.

المسائل النحوية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة":

بالإضافة إلى المسائل الصوتية و الصرفية السابقة الذكر، تناول الباحث رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» جملة من المسائل و القضايا تتعلق بالنحو العربي عند القدامى، هذه القضايا هي:

1- القياس .

2- التعليل .

3- الاحتجاج .

4- ظاهرة الشذوذ .

و قد عالجاها بالوصف و الانتقاد و منها تبنى آراء جديدة معتمدا في ذلك على المناهج اللغوية الحديثة، كالمنهج المقارن و المنهج التاريخي و المنهج التقابلي، إلى جانب النظريات اللسانية الحديثة، كنظرية الركام اللغوي.

و ذلك كما يلي:

1- القياس:

قبل أن نوضّح آراء الدكتور رمضان عبد التواب في مسألة القياس، كأصل من أصول النحو عند القدامى، و كما وردت في مؤلفه «بحوث و مقالات في اللغة»، و قبل أن نقيم هذه الآراء في ضوء علم اللغة الحديث، لنا أن نوضّح معنى القياس لغة واصطلاحاً و أركانه و وظائفه و نظرة القدامى من النحويين و اللغويين إليه.

أ- مفهوم القياس لغة:

جاء في لسان العرب «قاس الشيء يقيسه قياساً و اقتاسه إذا قدره على مثاله و يقال: قايست بين شيئين إذا قدرت بينهما، و قيس شبر أي قدر شبر، و القيس و القدر سواء، يقال قصر مقاسك عن مقاسي، أي مثالك عن مثالي، و روى ابن الدرداء أنه قال: خير نسائكم التي تدخل قيساً و تخرج ميساً، و قال ابن الأثير: يريد أنها إذا مشت قايست

بعض خطأها فلم تجعل فعل الخرقاء و لم تبطيء، و لكنها تمشي مشيا وسطا معتدلا فكانت خطأها متساوية»¹.

و قال ابن الأنباري: «القياس في وضع اللسان بمعنى التقدير، و هو مصدر قايست الشيء بالشيء مقياس و قياسا، قدرته و منه المقياس أي المقدار»².

فالقياس كما ورد في هذه التعريفات اللغوية، يعني التقدير، فقولنا: قست شيئا بشيء، أي قدرته عليه، و القياس صدر الفعل منه: قاس بقيس قياسا.

ب/- مفهوم القياس اصطلاحا:

أمّا في الاصطلاح، فقد عرفه السيوطي في كتابه «الإقتراح في علم أصول النحو» على أنه تقدير الفرع بحكم الأصل، أو هو حمل غير المنقول على المنقول، إذا كان في معناه»³.

هذا عند القدامى، أمّا عند الحديثين، فقد عرفه الأستاذ عباس حسن «بأنه محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية، و حمل كلامنا على كلامهم في صوغ أصول المادة و فروعها و ضبط الحروف و ترتيب الكلمات و ما يتبع ذلك من إبدال و إدغام و حذف و زيادة»⁴.

و قد عرفته الدكتور منى إلياس «بأنه عملية فكرية يقو بها الانسان الذي ينتمي إلى جماعة لغوية و يجري بمقتضاها على الاستعمال المطرد في هذه الجماعة، و هذه حقيقة من حقائق الاجتماع اللغوي الذي تبنى عليه الاستعمالات اللغوية»⁵.

و قد عرفه الدكتور عبد الصبور شهين بأنه «حمل مجهول على معلوم إذا كان في معناه»⁶.

من خلال التعاريف الاصطلاحية السابقة لنا أن نستنتج جملة من النقاط و هي:

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص187.

² - صابر بكر أبو السعود، القياس في النحو من الخليل إلى ابن جني، ص10، نقلا عن الإعراب في جدل الإعراب، ص13.

³ - السيوطي، الإقتراح في علم أصول النحو، ص94.

⁴ - عباس حسن، اللغة و النحو بين القديم و الحديث، ص22.

⁵ - منى إلياس، القياس في النحو، د. ص09.

⁶ - عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، ص09.

- أ- القياس معناه حمل فرع على أصل إذا كان في معناه، و إذا كانت هناك أوجه الشبه.
- ب- يعد القياس وسيلة من وسائل محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية.
- ج- يعدّ وسيلة اتخذت لتقنين كلام العرب و وضع قواعد قياسية مطردة، توضّح الكلام العربي الصحيح من المفسد.
- أركانها:

لقد وضع القدامى للقياس أربعة أركان أساسي و هي:

-الأصل: و هو المقيس عليه.

-الفرع: و هو المقيس.

-الحكم.

-العلة الجامعة.

فأما المقيس عليه، فهو السموغ من كلام العرب و له شروط عدّة و هي: أن لا يكون شاذاً خارجاً عن نسق القياس، مثل: استصوبت الشيء، و لا يقال: استصبت الشيء و هو القياس، و أغيلت المرأة، واستتوق الجمل، و القياس: أعليت المرأة واستتاق الجمل و قد عدّه ابن جني من المطرد في الاستعمال و الشاذ في القياس.

لا يقاس على الشيء نطقاً لا يقاس عليه تركاً، كامتناعك من قول «وذر» و «ودع» مع جوازهما قياساً لأنّ العرب تحامتهما¹.

أمّا المقيس و هو الركن الثاني، فهو الكلام الجديد الذي يقاس على المقيس عليه (الأصل)، و قد اختلف اللغويون العرب فيه، فمنهم من عدّه من جملة كلام العرب، أخذاً بالقاعدة القائلة: «ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم، و يميل إلى هذا الاتجاه أبو علي الفارسي و تلميذه ابن جني الذي يقول "اللغات على اختلافها و كلها حجة و الناطق على قياس لغة ن لغات العرب مصيب غير مخطيء"².

¹ - السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص97.

² - ابن جني، الخصائص، ج2، ص12.

و من الراضين لهذه الفكرة و عدوا ما قيس على كلام العرب ليس من كلامهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، بدليل رفضه لكلمة «إفرنقا» التي وردت في بيت شعري قديم، و البيت هو: ترفع العز بنا فافرنقا، هذه الكلمة التي قيست على كلمة «اقعنسا».

3-الحكم: و معناه النتيجة أو القاعدة القياسية المطردة و التي تستخلص من إخضاع الفرع لحكم الأصل.

4-العلة: و هي وصف سبب إدراج الفرع تحت حكم الأصل، و بالتالي الوصول إلى القاعدة المطردة، و نشير إلى أن العلة شهدت دراسة واسعة الأطراف من قبل اللغويين العرب القدامى و المحدثين، و قد شهدت تقسيمات مختلفة ذكرها الزجاجي في كتابه «الإيضاح» في علل النحو ثم تلقت انتقادات من قبل اللغويين لا سيما المحدثين منهم.

-وظائف القياس:

«اللغويون العرب القدامى لم يتحدثوا عن وظائف القياس لا من قريب و لا من بعيد»¹، لكن المحدثين و في مقدمتهم الدكتور محمد خير الحلواني، تحدّث عنها و بيّن و هذه الوظائف بالتفصيل و لخصّها في: الاستنباط، التعليل، الرفض، فأما الاستنباط، معناه استنباط قاعدة لغوية أو نحوية مطردة «فأما القياس يكون وسيلة ذهنية لاستنباط القاعدة، و لفهم هذه الوظيفة أكثر نورد المثال التالي: كان أبو العباس ثعلب يجيز أن يجمع «بريء» على براء، و براء إلى جانب سواد، و إن لم يسمعه عظماء العرب و ذلك قياسا على ما سمع من إحدى الاعرابيات: أفي السوة أن تته الأعرابية أسقطت الهزة من السوء، فقالت: السوة، فأجاز أن يسقط الهزة من براء فنقول براء و هكذا استطاع أن يستنبط جمعا لم يقل به العرب»².

التعليل: و يعدّ ثاني وظيفة للقياس عند الحلواني، و ما ورد في استعمال القياس وسيلة لتعليل ما جاء عن الكسائي في القول: «رضي عليّ» بلا من رضي عني، و تفصيل ذلك أنه نقل بيتا من الشعر ورد فيه التركيب الأول (رضي عليّ سخط) و هذا البيت هو:

إذا رضيت عليّ بنو قشير
لعمرك الله أعجبنى رضاها

¹ - أنظر، محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، ص92.

² - المرجع نفسه، ص92.

فالكسائي هنا عدى الفعل رضي بالحرف على و إنما يعدي هذا الفعل في الأصل بحرف الجر «عن» فيقال: رضيت عنه، و في الدعاء: رضي الله عنه. و قد علل الكسائي هذه المسألة بأنّ الشيء يقاس على ضده، و ضد «رضي» «سخط» فلما قيس عليه أخذ حكمه عند الشاعر¹.

الرفض: فضلا عن هاتين الوظيفتين، يتخذ القياس عند الحلواني وسيلة لرفض ظاهرة لغوية «قال بعض النحويين من ذلك أنّ نحاة الكوفة يجعلون لام التعليل هي الناصبة للفعل المضارع، مثل: قعدت لأستريح، فرفض البصريون ذلك لأنّ القياس يرفضه و يمنعه فلام التعليل مقاسة على الحروف المختصة بالأسماء، مثل: عن، من، الباء، و هذه الحروف لا تنصب الفعل المضارع، و كذلك لام التعليل»².

فما دامت هذه الحروف لا تنصب المضارع، و ما دام صرف التعليل مقاسا على هذه الحروف، فإنّ عمل هذه الأخيرة رفض من قبل البصريين، و كان للقياس اليد الطولي في هذا الرفض.

و نشير إلى أنّ ما ذهب إليه الكوفيون هو الأقرب إلى الصواب، لأنّ الواقع اللغوي يؤكّد وجود حروف تختص بالدخول على الأفعال، مثل: اللام، الفاء و حتى ... و هناك حروف أخرى مختصة بالدخول على الأسماء، كحروف الجر، و هذا القياس لا يعضده دليل علمي.

غير أنّه في الإعراب نقول: فعل مضارع منصوب بأنّ المضمره وجوبا بعد لام التعليل. تلكم هي وظائف القياس عند الحلواني.

2- رأي الدكتور رمضان عبد التواب في القياس:

لقد تناول الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» بعين الواسف و المتفحص و المنتقد للمنهج المعياري الذي اتخذ من قبل القدامى في دراساتهم اللغوية و كذا القياس الذي اعتمده في تعييدهم لقواعد العربية الفصحى، و قد أكّد بأنّ القدامى قد ابتعدوا تماما عن الدراسة الوصفية للعربية، فكانت دراساتهم تتميز بغياب

¹ - المرجع السابق، ص 92.

² - المرجع نفسه، ص 92.

الاستقراء الدقيق لبعض صور الظاهرة اللغوية، يقول «و من الأمور التي تلفت النظر في تراثنا النحوي خلوه في بعض الأحيان من الاستقراء الكامل لبعض الصور اللغوية من الظواهر النحوية»¹.

ثم أنّهم بالغوا في القياس، فحمّلوا العربية ما ليس من واقعها، كما اتّصفت أعماله بغياب التمحيص الدقيق للمسائل النحوية «بل إنّه ليلاحظ في التراث النحوي أن فيه متابعة تكاد تكون كاملة لكثير ممّا جاء به سيبويه دون تمحيص أو تدقيق على ما في بعض مسائله أحياناً من الخطأ المبني على التحريف، تحريف الرواية»².

ثمّ إنهم بالغوا في القياس، هذه المبالغة أدّت بالقدامي إلى ابتداع أمثلة و إخضاعها للقواعد المطردة و ليس العكس كما نجده في المنهج الوصفي الذي تبنى فكرة دراسة اللغة في ذاتها و من أجل ذاتها.

و قد وضّح الدكتور رمضان نتائج هذا القياس المبالغ فيه، ففي نظره نتائج سلبية و قد عزز كلامه بأدلة من التراث النحوي العربي. و هذه النتائج السلبية تتمثل فيما يلي:

1- افتراض وابتداع لغة لم ترد عن العرب و لم تجر على ألسنة العرب القدامي، من أمثلة ذلك، ما ورد من الزجاج عن المازني، الذي أجاز نصب ما بعد أيها في أسلوب النداء فالمازني أجاز في: أيها الرجل النصب في كلمة «الرجل» بحجة موضع المنادى النصب فحملت صفته على موضعه عند جميع النحويين، نحو قولك: يا زيد الظريف، و الظريف (بالنصب)، و النحويون لا يقولون إلا يا أيها الرجل و يا أيها الناس، و العرب في لغتها في هذا الرفع، و لم يرد عنها غيره»³.

2- دخول النحاة و اللغويين في متاهات لغوية و خيالات لا يستصيغها الذوق العربي و لا يتقبلها منطوق اللغة العربية و أصبح مثلهم، كما وصف ذلك الدكتور رمضان عبد التواب كمثل من يبدع قياساً باطلاً في لهجات الخطاب المعاصرة و يدعيه من أصحاب هذه

¹ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص155.

² - المصدر نفسه، ص153.

³ - المصدر نفسه ، ص152.

اللهجات، فيجيز أن تجمع كلمة «مال» على «ميلان» قياسا على جمع «تاج» على «تيجان»، و ما أشبه ذلك ممّا لا يصح أن يدخل إلا في دائرة الأوهام و الخيالات»¹.

-تقسيم الكلام إلى أربعة أضرب و هي:

1- المطرد في القياس و الاستعمال جميعا.

2- المطرد في القياس و الشاذ في الاستعمال.

3-المطرد في الاستعمال و الشاذ في القياس.

4-الشاذ في الاستعمال و القياس معا.

و هذا ما نجده عند ابن جني في كتابه الخصائص.

3-و من النتائج السلبية للمبالغة في القياس، الحكم على بعض القضايا بالشذوذ، هذه الظاهرة التي حللها و عالجها الدكتور رمضان عبد التواب و أبدى آراءه السديدة فيها، كما سنرى فيما بعد.

4-الدخول في عالم التأويل و التقدير و الافتراض.

-تلکم هي نتائج القياس المبالغ فيه عند القدامى على حد تعبير الدكتور رمضان عبد التواب.

إنّ ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب في هذا المقام حقيقة و واقع، يثبتته التراث النحوي القديم، ذلك أنّ القدامى درسوا العربية دراسة معيارية وابتعدوا كلية عن الدراسة الوصفية لما ورد عن العرب من كلام، و المتفحص لخصائص ابن جني يجد هذه السلبيات مجسّدة في الواقع، حيث أنّه قسمّ الكلام إلى أربعة أضرب، و هي:

1-المطرد في الاستعمال و القياس جميعا.

2-المطرد في القياس و الشاذ في الاستعمال كما في الماضي من يذر و يدع، ذلك أنّ القياس يقبل صيغة و دع و وذر، إلا أن الاستعمال يرفضهما و من أمثلته أيضا حسب ابن جني «جيء خبر عسى اسما صريحا نحو قولنا: عسى زيد قائما أو قياما، فهذا التركيب

¹ - المصدر نفسه ، ص152.

يرفضه الاستعمال، و ما هو مستعمل جيء خبر عسى جملة فعلية نحو: عسى زيد يقوم و عسى الله أن يأتي بالفتح»¹.

-المطرّد في الاستعمال و الشاذ في القياس: و هذا النوع نجده في الصرف أكثر منه في النحو، و من أمثلة ذلك ما جاء به ابن جني في خصائصه «قولهم: استصوبت الأمر، و لا يقال استصبت الأمر، و منه استحوذوا و استنوقوا الجملة، و استيتست الشاة»².

-الشاذ في الاستعمال و القياس معا «من أمثلة هذا النوع، قولنا: فرس مقوود و رجل معوود من مرضه، و هذه الأمثلة و هذا النوع نادر في اللغة»³.

-الحكم على بعض القضايا بالشذوذ: و هذا الحكم يتبناه ابن جني عندما يصل إلى بعض الأمثلة التي لا تتماشى مع قاعدته القياسية و يصعب عليه التأويل.

و كتاب الخصائص مملوء بأمثلة شاذة حسب ابن جني، من ذلك قول جرير:

و لو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا

و سبب الشذوذ حسب ابن جني «كون الشاعر أقام حرف الجر و مجروره مقام الفاعل و هناك مفعول به صحيح، قيل هذا أفبح الضرورة، و مثله لا يعتد أصلا بل لا يثبت إلا محققا شاذاً»⁴، و من أمثلة الشذوذ أيضا، ما ورد عن طرفة بن العبد، حينما قال:

أضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قوائيس الفرس

فحذف نون التوكيد من الفعل «اضرب» شاذ قبيح عند ابن جني، بدليل قوله: «قالوا: أراد أضرب عنك الهموم، فحذف نون التوكيد و هذا من الشذوذ في الاستعمال على ما تراه و من الضعيف في القياس على ما أذكره لك و ذلك أن الغرض من التوكيد إنما هو التحقيق و التشديد و هذا ما يليق به الاطناب و الاسهاب، و ينفي عنه الإيجاز و الاختصار، ففي حذف هذه النون نقص الغرض»⁵.

¹ - الخصائص، ابن جني، ج1، ص97.

² - أنظر المصدر السابق، ص97.

³ - أنظر المصدر نفسه، ص97.

⁴ - المصدر نفسه، ص397.

⁵ - المصدر نفسه، ص123.

-فكما هو لاحظ إذا أدرج ابن جني البيت ضمن الشواذ انطلاقاً من إهمال الشاعر للنون في الفعل «أضرب» التي تدلّ على التوكيد.

و الحقيقة أنّ ابن جني هنا تتأقّض مع نفسه، حيث أنّه كان قد أشار إلى أنه يجوز للشاعر ما لا يجوز للناثر، يقول: «واعلم أنّ الشاعر إذا اضطرّ جاز له بما يبيحه القياس و إن لم يرد به سماع»¹.

و ما يؤكّد كلام الدكتور رمضان عبد التواب في أنّ القدامى بالغوا في القياس إلى درجة الابتداع اللغوي، ما ورد عن ابن جني، الذي ابتدع فعلاً ألفاظاً قياسية غير سماعية و جعلها من الكلام العربي و تدرج ضمن القاموس اللغوي العربي و أنّ القياس يجيزها غير أنّ الذي حدث حسب ابن جني هو أنّ العرب قد تغافلت عن استعمالها نطقاً بحكم وجود ظاهرة الاستغناء و وجود قياس ثانٍ أعاق الأول، يقول ابن جني «و إنّما يقع في كلامهم إذا استغنيت عن لفظ كاستغنائهم بقولهم: ما أجود جوابه عن ما أجوبه! و أنّ قياساً آخر عارضه فعاق عن استعمالهم إياه، و كاستغنائهم بـ «كاد زيد يقوم من قولهم كاد زيد قائماً أو قياماً و ربما خرج ذلك في كلامهم»².

أي أنّ اعتماد العرب تركيب ما أجود جوابه! و كذا كاد زيد يقوم جعل العرب يستغنون على التراكيب الموالية و المقابلة لها و هي: ما أجوبه و كذلك كاد زيد قائماً.

-و قد قدّم ابن جني حشداً من الأمثلة القياسية المبتدعة و تصوّر أنّ القياس يجيزها لكن العرب تغافلت عن استعمالها نطقاً و من الأمثلة ذلك أيضاً ما نقله عن أبي الحسن الأخفش في أنّ العرب أجازت بعض التراكيب القياسية إلا أنّها لم تستعملها نطقاً مثل قولهم: ضرب الضرب الشديد زيدا، و دفع الدفع الذي تعرف إلى حمد ديناراً، و قتل القتل يوم الجمعة أخاك و نحو هذه المسائل ثم قال: هو جائز في القياس و إن لم يرد به استعمال»³.

و من الألفاظ التي ابتدعها ابن جني و عدّها من الكلام العربي الفصيح ما صرح به قائلاً: «و ما يدلك على أنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم «أنك لو مررت

¹ - المصدر السابق، ص396.

² - المصدر نفسه، ص391.

³ - المصدر نفسه، ص397.

على قوم و رأيتهم يتلاقون أبنية التصريف نحو قولهم: في مثال: صمحمح من الضرب (ضربرب) و من القتل (قتلتل) و من الأكل (أكلكل) و من الشرب (شربرب) و من الخروج (خرجرج) و من الدخول (دخلخل) و من سفرجل من جعفر (جعفرر) و من صقعب (صقعبب) و من مثل زبرج (زبرجج) و من ثرتم (ثرتمتم) و نحو ذلك فقال لك قائل: بأيّة لغة يتكلمون هؤلاء؟ لم تجد بدا من أن تقول بالعربية، و إن لم تكن العرب قد نطقت بواحدة منها¹.

-فكما نلاحظ إذن أنّ ابن جني ذهب بالقياس مذهبا جديدا بنى من خلاله كلمات جديدة لم تكن معهودة عن العربي وادّعى أنها عربية من غير أن ينطق بها العربي مثل كلمات (صربرب، دخلخل، شربرب... الخ).

و الغريب في الأمر أنّ أبا الفتح قاس هذه الكلمات على كلمات مفترضة بدليل أنّ العرب لم تتكلم لا بكلمة (صمحمح) و لا بكلمة «دمكمك» و لا بكلمة صفرد، بدليل عدم وجودها في القواميس العربية.

و من الألفاظ المبتدعة عند ابن جني و تصوّر أنها عربية ما ورد في خصائصه تحت باب الغرض من مسائل التصريف إذ يقول «... في مثل فيعول من شويت شيوي و من فعول منه شووي، و في مثل عضرفوت من الآءة: أيوء و منها مثل: صفرق: أيوء و من يو مثل مرمريس يويويم، و مثل الندد، أينوم، و مثل قولك: افعولت من و أيت، أيا وبيت»².

-و من الأمثلة التي تؤكّد ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب في معرض انتقاده للقياس عند القدامى ما ورد في خصائص ابن جني: «... أحدهما إلحاق ما تبنيه في كلام العرب و الإلحاق له: نحو قولك في مثل جعفر من الضرب (ضربرب) و مثل حبرج (ضربرب) و في مثل صفرد (ضربرب) و مثل فرزدق من جعفر (جعفرر) فهذا عندنا كله إذا بنيت منه شيئا فقد ألحقته بكلام العرب وادّعت أنه منه»³.

¹ - المصدر السابق، ص360.

² - المصدر نفسه، ج2، ص488.

³ - المصدر نفسه، ج2، ص487.

و من أسباب هذه الفلسفة في القياس، التأثر بالمنطق و علم الكلام و فلسفة المعتزلة خلال الرابع للهجرة عصر ابن جني.

و ما ذهب إليه ابن جني هو ما عدّه الدكتور رمضان عبد التواب أوهاما و خيالات.
- و كان من نتائج المبالغة في القياس عند القدامى أيضا التلاعب بألفاظ اللغة، فهذا ابن جني دائما اتخذ القياس وسيلة من وسائل التلاعب بالكلمات العربية في نطاق فلسفي عقلي يضر أكثر مما ينفع، و ذلك بإجراء تقاليد مختلفة على هذه الألفاظ هادفا الوصول إلى نوع جديد من القياس ألا و هو صحة قياس الفروع على فساد الأصول نجد ذلك من خلال ما ذكره في باب «في المستحيل و صحة قياس الفروع على فساد الأصول»، و هنا ذهب إلى إجراء تقاليد مختلفة على صيغ مجموعة من الكلمات و ظنّ أنه توصل إلى قاعدة قياسية و هي: امكانية صحة قياس فروع على كلمات أصولها فاسدة»، يقول: «أن يقول قائل: لو كانت الناقاة من لفظ (القنو) ما كان يكون مثالها من العقل؟ و الجواب أن تقول: علفة و العلة في ذلك أنّ النون منقلبة عن واو، و الواو لام القنو و القاف فاؤه، و لو كان القنو مشتقا من لفظ الناقاة لكان مثاله لفع «فهذان أصلا و القياس أمر بالفرعين إليهما»¹.
- إنّ ابن جني في هذا المقام اتخذ اللغة و القياس كأداة للتمارين الذهنية العقلية للترويج عن النفس، و هذا ما صرّح به قائلا: «ليكون ذلك مدرجة للفكر و مشجعة للنفس و ارتياحا لما يرد من هذا الطراز»².

- و ممّا تقدّم، يتّضح أنّ الانتقاد الذي وجهه الدكتور رمضان عبد التواب و آرائه للقياس عند القدامى صائبة و قوله أنّ النحاة انتهجوا منهج المعيارية في دراسة العربية حقيقة، فقد ابتعدوا عن الدراسة الوصفية و جانبوا فكرة: هكذا تكلمت العرب.

و من نتائج المبالغة في القياس أدى إلى التأويلات و التقديرات و الافتراضات العقلية، و الدليل على ذلك ما وردت عن النحاة القدامى في تفسير سبب رفع «هذان» في قوله تعالى: «إنّ هذان لساحران»³، فقد كثّر التأويل و التخرّيج، فمنهم من عدّ ذلك أنّ

¹ - المصدر السابق، ج3، ص336.

² - المصدر نفسه، ج3، ص97.

³ - سورة طه، الآية63.

هذه الآية جاءت لغة بلحارث التي ترفع اسم إن، و تعليل ثان هو أن: «إن» بمعنى نعم و معنى الآية نعم هذان لساحران، و تعليل ثالث هو قولهم: «إن» بمعنى ما، و اللام في ساحران بمعنى «إلا» و معنى الآية: ما هذان إلا ساحران، و تعليل آخر هو أن «إن» مؤكدة تعمل الرفع و تعمل النصب، و تعليل رابع، قولهم: أن اسم إن محذوف و تقديره ضمير الشأن، و تقدير الجملة «إنه هذان لساحران»¹.

- و من مظاهر التقدير عند القدامى: تفسيرهم لعلة نصب الاسم في أسلوب التخصيص نحو: نحن العرب، فقالوا: ناصبه فعل محذوف تقديره: أخص أو أعني. و أصل الجملة على حد قولهم: نحن أخص العرب، و كلمة العرب تعرب مفعولا به لفعل محذوف تقديره: أخص.

*الحكم على بعض المسائل بالزيادة كما قال القدامى في تفسير الآية الكريمة: «و كيف نكلم من كان في المهد صبيا»²، حيث قالوا: إن كان هنا زائدة، على الرغم من أنها الأساس في إفادة التعجب، لأن حذفها يؤدي تغيير معنى الآية من التعجب إلى الاستفهام³، و صريح الآية و بابقاء كان جعلت من الآية تدل على التعجب.

من خلال ما تقدّم، نستنتج فعلا بأن النحاة القدامى طبقوا المنهج المعياري و بالغوا في القياس و حملوا العربية ما ليس من طبيعتها، و دخلوا في متاهات و أوهام كما وصف ذلك الدكتور رمضان عبد التواب، و لهذا نصح بوجود الحذر منها، و دعا إلى ضرورة إعادة النظر في التراث النحوي القديم بمنهج وصفي لانقاد الدرس النحوي العربي من هذه المزلات.

¹ - أنظر أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي و تطبيقها في القرآن الكريم، ص120.

² - سورة مريم، الآية23.

³ - أنظر عبد الجبار تومة، زمن الفعل في العربية جهاته و قرائه، ص48.

رأي الدكتور رمضان عبد التواب في القياس و علم اللغة الحديث:

إذا كان الدكتور رمضان عبد التواب انتقد القياس في اللغة و عدّه ضرباً من ضروب الابتداع اللغوي و الوهم، و جعله وسيلة قادت إلى ظاهرة الشذوذ و التأويل و الافتراض، فإنّ علم اللغة الحديث له رأي آخر مخالف، هذا الأخير -علم اللغة الحديث- أعطى له تفسيراً آخر و نوّه بفضائل القياس و آثاره الإيجابية على مستوى اللغة.

فهذا دوسوسير رائد الدرس اللساني الحديث عرفّ القياس «Analogie» بأنّه «صيغة صنعت على منوال صيغة أو صيغ أخرى طبقاً لقاعدة معلومة»¹.

و قد عرفّه جورج مونين G.Mounin: بأنه العلاقة المشابهة الواقعة بين الأبنية و الأنظمة النحوية، و قال هو «العلاقة الجديدة بين وحدة مبتكرة و وحدة موجودة بالوضع من نفس النوع»².

لقد عقد دوسوسير في كتابه «محاضرات في الألسنة العامة بابين لدراسة القياس و بدأ الحديث فيها عن أهمية القياس في اللغة، فيرى أنّ التغييرات الصوتية تعدّ قوة خطيرة على اللغة، لأنها تؤدي إلى ضعف الروابط النحوية التي تشدّ الكلمات بعضها إلى بعض، فيتضاعف بذلك مجموع الصيغ بلا داع، و بشكل غير مفيد للغة ممّا يؤدي إلى غموض و تعقيد آلية اللغة حسب غلبة الصيغ الشاذة الناشئة عن تلك التغييرات الصوتية على الصيغ القياسية المطردة».

لكن وجود القياس في اللغة حال دون ذلك كما يرى دوسوسير، هو الذي يفسّر تأثير تلك التحولات الصوتية و يحد من مفعولها و يعد لها، يقول: «و من حسن الحظ أنّ هناك قوة تحدّ من مفعول التغييرات الصوتية، و تعد له، و هي القياس»³، و كانت هذه الأهمية للقياس دون غيرها من جهة أنّه إليه يرجع جميع أسباب التغييرات الصوتية العادية المتصلة بالشكل الخارجي، و لتأكيد الفكرة أورد دوسوسير في محاضراته جملة من

¹ - دوسوسير، محاضرات في الألسنة العامة، ص243.

² - G. Mounin, Dictionnaire de la linguistique., p25.

³ - دوسوسير، محاضرات في الألسنة العامة، ص143.

الأمثلة منها الصيغة الدالة على الفاعلية في اللغة اللاتينية «Honor» فهي صيغة قياسية أصلها Honosem: Honos ثم قالوا: Honorem بقلب السين، فصار لأصل الكلمة صورتان منذ ذلك الحين، ثم مع مرور الزمان أهملت هاتين الصيغتين بإحلال محلها صيغة جديدة وهي Honor قياساً على «Orator» و «Oratorem» فنلاحظ الصيغة الجديدة أزلت الفوضى سبب توحيد الصيغ فأصبح لدينا: Honor، Honorem = «Orator و Oratorem» و من هنا قال: «نلاحظ أنّ القياس قد وحد بين الصيغ من جديد و أعاد اللانظام إلى سالف نصابه كما في Honor و Honor، و ذلك حتى يقوم بعمل موازن تعديلاً لعمل التغيير الصوتي الذي شأنه تنويع الصيغ و التكاثر منها»¹.
من هذا الكلام يتضح بأنّ دوسوسير جعل من القياس أداة لتوحيد الصيغ و محاربة التنويع فيها و التكاثر منها.

2/- دوسوسير يرى بأنّ القياس سواء الصرفي أو النحوي يؤدي وظيفة توحيد الأنظمة الصرفية و النحوية و إخضاعها لقواعد قياسية مطردة عامة و ثابتة، هذا حتى و لو كان القياس على الشاذ، يقول «و لنلاحظ في هذا الصدد أنّ القياس لم يطمس آثار تنوع صوتي موجود، و لكنه عمّم ضرباً من ضروب الصياغة»².

3/- دوسوسير عدّ القياس وسيلة من وسائل الإبداع اللغوي وابتكار ألفاظ و جمل جديدة مقاسة على القديمة.

4- القياس عند سوسير منهج سليم لتطوير اللغة و تجديدها، و هذا التطوير راجع إلى المتكلم الفرد، يقول «جميع الظواهر التطويرية، إنّما أصلها نطاق الفرد و بصورة أخص الابتكارات القياسية»³.

خاصة و أن سوسير انطلق من مبدأ أن القياس موجه إلى الكلام، كلام المتكلم أو الأداء الكلامي، كما فسّر ذلك تشومسكي، و كما أكد أيضاً دوسوسير بأنّ القياس له أهمية من حيث هو من العوامل الأساسية للمحافظة على اللغة من جانبيين و هما:

¹ - المرجع السابق، ص 244.

² - المرجع نفسه، ص 244.

³ - المرجع نفسه، ص 153.

1/- جانب استعمال المادة اللغوية القديمة في وحدات جديدة.

2/- من جانب إبقائه الصيغ القديمة كما هي دون تغيير، و قد أورد مجموعة من الأمثلة من اللاتينية تؤكد هذه الفكرة، يقول: «و هكذا فإنّ الصيغ تثبت و تدوم لأنّ الناس يحدّدون صياغتها باستعمال القياس، فهم يعتبرون الكلمة وحدة مركبة لفظا في آن واحد، فتثبت كما هي ما دامت عناصرها لم تتغيّر»¹.

-من خلال ما سبق يتّضح بأنّ دوسوسير قد أعطى مفهوما جديدا للقياس و نوّه بوظائفه في: توحيد الصيغ أو الإبداع اللغوي أو المحافظة على اللغة من جانبيين.

و تجدر الإشارة إلى أنّ جورج مونين وضّح هو الآخر وظائف القياس و لخصها فيما يلي:

أ/- القياس يؤدّي إلى الانتظام و التجانس بين الصيغ و التراكيب لأنّه قوة تحد من مفعول التغيّرات الصوتية و تعدّ له، إذ إليه ترجع جميع أسباب التغيرات العادية التي ليست ذات طبيعة صوتية و التي تصيب من الكلمات مظهرها الخارجي.

ب/- إنّ القياس سهل للطفل المتدرّب على اللغة بناء جمل جديدة لم يسبق له سماعها على وتيرة جملة معروفة لديه، يقول في هذا الصدد أندري مارتيني «فالطفل المبتدي يتدرب على التفنن في الحديث قبل أن يكون قادرا على استعمال النصوص المكوّنة أساسا من ذلك الحديث في سياق آخر، و هذا يعني أنه يبقى له أن يكتشف جميع ما يحتويه ذلك الحديث من الحيل (أنظمة الربط بين الوحدات اللغوية) عن طريق التقريب دون وعي في الغالب بين الجمل التي لا تفترق إلا في مونيم واحد، و عندما يشعر بالمضارعة بين أنظمة هذه الحملة فإنه سيقوم بالمقابلة بين الكلمتين المتشابهتين و روابطهما و عندئذ سيتقن بلا شك - لغته، بحيث يكون في مقدوره -كالكبار- أن يكون جملة من فعل لم يسبق له أن سمع إلا صيغته»².

¹ - المرجع السابق، ص 158.

² - ANDRE Martinet, Élément de linguistique générale, P,P, 194,195.

ج/- القياس أساسي في كثير من الصور البيانية كما هو الشأن في القياس الدلالي الذي يفسر علاقة المشابهة في المجاز و الاستعارة.

«و القياس الصوتي أي الترادف الصوتي الذي يفسر الأشكال اللغوية المشابهة، كالمشترك اللفظي، الجنس، السجع و القوافي»¹.

و من خلال ما تقدم، نستنتج بأنّ دوسوسير و أتباعه عدوا القياس ظاهرة نحوية وصفية، فهو نحوي من جهة أنّ عمليته تقتضي منا وعيا و إدراكا للعلاقة التي تربط الصيغ فيما بينها و هي المعاني النحوية، فهذه المعاني ضرورية في عملية القياس، لأنّ العلاقة بين هذه الصيغ لن يكون لها أساس معتبر في القياس إذ لم يكن الجامع بينهما هو معاني النحو وصفي من جهة اعتبار الفرض الذي تسعى إليه عملية القياس هو الخلق و الإبداع و هذا أمر كما يقول: يخصّ أولا الكلام لا اللغة، لأنّه عرضي يقوم به في أول هل متكلّم واحد منعزل، و من هنا رأى دوسوسير أنّ دراسة ظاهرة القياس يجب أن تكون موجهة إلى الكلام و المتكلّم هو الذي يبحث فيه عن تلك الظاهرة، يقول: «إذا أردنا أن نتظفر بهذه الظاهرة فعلينا أن نطلبها أولا و بالذات في مجال اللفظ (الكلام) هذا و خارج نطاق اللغة»².

و بذلك تكون عملية القياس أكبر الأدلة عند دوسوسير للتمييز بين اللغة و الكلام لأنّ القياس يؤكّد بأنّ الكلام معتمد على اللغة و تابع لها إذ أنّ كل إبداع من قبل المتكلّم لا بدّ أن يسبق بمقارنة لا إرادية و لا شعورية بين المواد المحزونة في كنز اللغة.

و إذا كان دوسوسير قد أكّد القياس و دوره في الإبداع اللغوي، فإننا نجد كلا من «سابير» و «تسوسكي» لم ينكرا القياس و دوره في الدرس اللغوي، لأنّه يمثل الجانب العقلي في اللغة تمثيلا حقيقيا، لأنّ العقل عندهما ضروري في المعرفة اللغوية، و أنّه يرمي إلى ضبط اللغة و صيغها الأساسية و الكشف عنها و تفسيرها حسب درجة التواتر»³.

-أمّا بالنسبة للاتجاه الوصفي في الدراسات اللغوية فإنه يرفض القياس و ينادي بعدم صلاحيته لأنّ يكون منهجا للبحث اللغوي «و ذلك لأنّ عملية القياس معيارية تتمّ عن

¹ - GEORGE Mounin, Dictionnaire de linguistique, P25.

² - دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص249.

³ - عبد السلام السدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص19.

طريق نماذج لغوية مخزونة في ذهن المتكلم تتحكم فيما ينتجه ذلك التكلم فيعتمد معه الوصف، إلا في جانب وصف العملية التي تحدث القياس، لأن ذلك يرتبط بنشاط المتكلم¹.

و هذا الرفض مبني على أساس رفض عنصر العقل و المعلوم أن القياس يعتمد كثيرا على جانب العقل سواء ما كان منه معتمدا على الاستقراء أم على العقل المحض. و مبني أيضا على أساس التفريق بين اللغة و الكلام و جعل القياس مرتبطا بالكلام و المعلوم أن الوصفين يقولون: كل ما تعلق بالكلام له دراسة خاصة بعيدة عن اللغة. -إتنا إذا ما قارنا بين ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب في مسألة القياس و بين ما هو وارد في الدرس اللغوي الحديث، نستنتج بأن الدكتور رمضان نحا منحى الاتجاه الوصفي، و من ثمة فهو يدعو إلى تطبيق المنهج الوصفي على الدرس اللغوي العربي أولا و إلى إعادة النظر فيما قدمه السلف من اللغويين العرب القدامى لتنقية التراث من الفلسفة و المنطق و الأوهام و الافتراضات العقلية و البدع التي أقحمها البعض من اللغويين في الدرس اللغوي العربي القديم.

و بصيغة أدق، الدكتور رمضان عبد التواب، يدعو إلى إعادة دراسة العربية دراسة وصفية، لا دراسة معيارية، مع وجوب تطبيق قاعدة هكذا تكلمت العرب. و هنا لنا أن نقول بأن ما يدعو إليه الدكتور رمضان عبد التواب هو المنهج الناجع لدراسة اللغة دراسة علمية بعيدة عن الوهم و الخرافة.

و تجدر الإشارة إلى أن معظم اللغويين العرب المحدثين قد تبنا ما تبناه الدكتور رمضان عبد التواب، حيث أنهم رفضوا القياس عند القدامى و دعوا إلى دراسة العربية دراسة وصفية و إبعاد الدرس اللغوي من الأوهام لإنصاف العربية، و من هؤلاء ما يلي:
1-الدكتور كمال بشر، يقول: « و لكن علماء العرب بالغوا في تطبيق هذا المبدأ أو بالغوا في الالتزام بأحكامه حتى قبلوا ما يجيزه القياس و إن لم يرد به سماع، واتخذوا القياس

¹ - أنظر محمد عيد، أصول النحو، ص96.

مبداءا عاما في صنعة النحو و تطبيق مسائله و قضاياها و لم يقف بهم الأمر إلى توسيع دائرة القياس و تشعبت مسائله».

و يرى أنّ النحاة اتخذوا القياس المنطقي منهاجا لهم و رجع إليه كثيرا من النحو و مشكلاته¹.

2-الدكتور ابراهيم أنيس يقول: «و نشير هنا إلى ذلك القياس المصنوع من مثل قولهم: أعرب المضارع قياسا على الاسم، و نصبت (لا) النافية للجنس الاسم و رفعت الخبر قياسا على «إن» لمشابهتها في التوكيد، و ليس هذه إلا صناعة نحوية لا تمت إلى القياس اللغوي الحقيقي بصلة، لأنها من علل النحاة المخترعة التي ادعوا ظلما و تخبيبا أنّ العرب راعوها في التفرقة بين الأساليب»².

3-محمد عيد: يقول «اتخاذ القدامى القاعدة أساسا ثم فرضها على المفردات عمل يجافي الروح العلمية الصحيحة، لأنه يقوم أساسا على التحكّم و التحكم لا يتفق مع الروح العلمية للمنهج الوصفي»³.

4-ابراهيم السمراي: ينكر القياس و عدّه ظاهرة غريبة عن طبيعة اللغة، يقول: «إنّ القياس واستخراج مسائل النحو و تعليقه غير مقبول في علم اللغة، و هو من غير شك استخدام لوسائل غريبة عن طبيعة هذا العلم اللغوي الذي سبيله الاستقراء لما هو جار على أسنة الناس و ما ورد في كتاب الله و حديث رسول الله صلى الله عليه و سلّم»⁴.

5-عباس حسن يقول: « و القياس بهذا المعنى واضح الغاية سهل الفهم، و لذا يأخذ على علماء اللغة القدامى و المحدثين تفصيلهم و تشعبيهم القياس حتى فتحوا أبوابا من المشكلات تكد العقل و ترهق الفكر و أسرفوا في التفرّيع و الاستدلال إسرافا جاوز حدّ الإبانة و إيضاح الحقائق العلمية»⁵.

1 - كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم، ص 140.

2 - ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص 357.

3 - محمد عيد، أصول النحو العربي، ص 99.

4 - ابراهيم السمراي، النحو العربي نقد و بناء، ص 18.

5 - عباس حسن، الأصول اللغوية و النحوية، ص 16.

6-مهدي المخزومي: يقول: «و ليس ما يعاب به النحو الكوفي إن كان قياسا مشوشا غير واضح المعالم و لا مطردا و لا منسجما في أجزائه، لأنّ القياس طاريء دخيل ناءت هذه الدراسة بتطفله، و كان على الأولين أن يدركوا هذه الحقيقة و أن يجنبوا هذه الدراسة ما من شأنه أن يتحكّم فيها و يفسدها و لكنهم اجتهدوا فخانهم الصواب»¹.

-إلى جانب هؤلاء نجد أيضا الدكتور تمام حسان و الدكتور عبده الراجحي و الدكتور ابراهيم مذكور ... من الذين ثاروا ضدّ منهج القدامى في القياس و دعوا إلى المنهج الوصفي في دراسة العربية.

ثانيا: التعليل:

قبل أن نستعرض موقف و آراء الدكتور رمضان عبد التواب في مسألة التعليل كما وردت في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» و قبل أن نقيّم هذه الآراء في ضوء علم اللغة الحديث، لنا أن نعود إلى الخلف لتوضيح معنى التعليل لغة واصطلاحا، و أشكال و أنواع العلة عند القدامى من اللغويين.

1/- مفهوم التعليل لغة:

التعليل مصدر من الفعل علل يعلل تعليلا، و العلة من عل و عله يعله علا و عللا، و هي في الأصل لها ثلاثة معان و هي:

أ- التكرار: و في الحديث «إذا عله ففيه القود، أي إذا كرّر عليه الضرب، و أصله في المشرب يقال: (عله يعله و يعله إذا سقاه السقية الثانية)»².

ب- العائق: يعوق، قال الخليل: «العلة حدث يشغل صاحبه عن وجهه»، و يقال: «اعتله عن كذا، أي: اعتاقه»³.

ج- المرض: قال ابن الأثير: «علّ المريض يعلّ علة، فهو عليل، أي مريض»⁴.

د- قال في التعريفات: «العلة لغة عبارة عن معنى يحلّ بالمحلّ فيتغيّر به حال المحلّ بلا اختيار و منه سمي المرض علة لأنه بحلوله يتغيّر حال الشخص من القوة إلى الضعف»¹.

¹ - مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة و أثرها في النحو و اللغة، ص46.

² - الفيروزبادي، القاموس المحيط، (علل)، ص380.

³ - ابن فارس، مقاييس اللغة، (علل)، ص270.

⁴ - المصدر نفسه، ص270.

قال ابن فارس «توضع العلة موضع السبب أو العذر و في المثل لا تعدم خرقاء علة، يقال هذا لكل معتل معتذر، و هو يقدر و المعتل دافع جابي الخراج بالعلل، و قد اعتل الرجل و هذا علة، لهذا أي بسبب و في حديث عائشة رضي الله عنها، فكان عبد الرحمان يضرب بعلة»².

فكما نلاحظ أنّ لكلمة علة عدّة معان لغوية تفهم من سياق الكلام فتعني التكرار، العائق المرض و تعني أيضا السبب أو العذر، فعندما نقول مثلا: هذا علة لهذا، أي: سبب له.

2/- مفهوم التعليل اصطلاحا:

أمّا في الاصطلاح فإنه يعني «ما يتوقف عليه وجود الشيء يكون خارجا و مؤثرا فيه، أو أنّ علة الشيء ما يستدل به من العلة إلى المعلول»³.

و قد عرفته الدكتورّة منى إلياس على أنه «ما يتوقف عليه وجود الشيء و ما يحتاج إليه سواء كان المحتاج الوجود أو العدم أو الماهية»⁴.

فالتعليل إذا هو ذلك السبيل الذي يتخذ كوسيلة أساسية لفهم كنه الشيء و سر وجوده و ماهيته أو حتى سر عدم وجوده.

و التعليل يعدّ أصلا من أصول اللغة و النحو إلى جانب السماع و القياس و الاحتياج و عليه فقد قدّسه علماء اللغة العرب قدامؤهم و محدثوهم حتى ذهبوا إلى أنّ النحو علم قياسي و مسار لأكثر العلوم يقبل ببراہين و حجج»⁵.

بل أكثر من هذا اعتنى به علماء اللغة العرب منذ نشأة البحث اللغوي عندهم، حيث أنّهم اجتهدوا لتعليل الظواهر اللغوية تعليلا بسيطا بساطة البحوث الأولى لا يحمل التكلف و هو وليد القائل نابع من روح اللغة و نطقها، فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي يرى أنّ لكل شيء علة فنبت في نفسه بأنّ العرب لم تنطق في لغتها إلا بعلل راعوها في كلامهم فحاول أن يستدل على ذلك لما رآه سببا في مسائله النحوية فقد سئل عن العلل التي يعلل

¹ - ، الجرجاني، التعريفات، ص104.

² - ابن منظور، لسان العرب، (علل)، ج2، ص471.

³ - أنظر هادي نهر، أسلوب التعليل في اللغة العربية، ص471.

⁴ - منى إلياس، القياس في النحو، ص3.

⁵ - أنظر الزجاجي،، الإيضاح في علل النحو، ص41.

بها هذه المسائل النحوية، ف قيل له «عن العرب أخذتها أم من اختراعك؟» فقال: «إنّ العرب نطقت عن سجيتها و طباعها، و عرفت مواقع كلامها و قام في عقولها عللها، و إن لم ينقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي إنه علة لما علته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس، و إن تكن هناك علة له فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم و الأقسام، و قد صحت عنده حكمة بانيتها بالخبر الصادق اليقين أو البراهين الواضحة و الحجج الملائمة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إتما فعل هذا هكذا لعله كذا و كذا و لسبب كذا سنحت له و حظرت بباله محتملة لذلك، ف جائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار و جائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أنّ ذلك ممّا ذكر، هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإنّ سنح لغيري علة لما علته من النحو هي أليق ممّا ذكرته بالمعلوم فليأت بها»¹.

فالخليل علل بما رآه مناسبا و بما يجول في ذهنه، و كما فهم المسألة و لم يترك المجال مغلقا، بل اجتهد هو في التفسير باعتبار أنّ العرب في نظره لم تتكلم اعتباطيا، بل راعت عللا لذلك حتى و إن لم يصرحوا بذلك، لكن العلة قائمة في نفوسهم، و الباحث هو الذي يسعى لاكتشافها، و عليه أن يبحث عن علة معقولة يقبلها المنطق و الواقع اللغوي دون غيرها لكي لا يتيه في بيداء الجدل و الأوهام و اللامنطق.

و الخليل بهذا الكلام و نحاة عصره عللوا بما هو منطقي فكان أسلوبهم أقرب إلى الجزم و التقرير منه إلى الجدل و التأويل.

و بعد هذه الإجابة المنطقية من قبل الخليل أخذ مجال البحث في العلل يتسع و عدد الباحثين في العلل النحوية يزداد سعيا منهم إلى تحليل اللغة و فهم حقيقتها، فكانت دراستهم واسعة الأطراف أسفرت عن تقسيم العلة النحوية إلى عدّة أقسام، و هي التي ذكرها الزجاجي في كتابه «الإيضاح في علل النحو»، و هذه الأقسام هي:

¹ - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، ص ص، 65، 66.

1- العلل التعليمية: و من خصائصها البعد عن المنهج الفلسفي و الجدل العقلي الذي لا يجدي نفعاً، و هذا النوع يتخذ كأداة لتعليل كلام العرب و فهمه، و من أمثلتها «كأن يعلل لمن سأل عن علة نصب (زيدا) في الجملة التالية: إنّ زيذا قائم بهذا التعليل: نصب زيد بأن، لأنها تنصب الاسم و ترفع الخبر»¹.

فهذا التعليل بسيط مباشر، تعليمي بعيد عن الجدل و الفلسفة، و من أمثلتها أيضاً ما ورد في «الأنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري فيما يخص اسمية (أفعل) التعجب عند الكوفيين، و فعليته عند البصريين، حيث ذهب الكوفيون إلى القول: «و الدليل على أنّ (أفعل) التعجب نحو: ما أحسن زيذا، أنه اسم جامد لا يتصرف لأنّ التصرف من خصائص الأفعال، فلما كان غير متصرف و كان جامداً و جب أن يلحق بالأسماء»².

و قد قال البصريون فيما يخص فعليته ما يلي: «و الدليل على أنّ أفعل التعجب فعل لأنه إذا وصل بياء الضمير دخلت عليه نون الوقاية نحو: ما أحسنني عندك، و ما أطرقني في عيني، نون الوقاية تدخل على الأفعال و لا على الاسم»³.

فكلما هو ملاحظ فإن البصريين كان تعليلهم تعليلاً بسيطاً و لم يغص في الجدل و الفلسفة البعيدة عن الواقع اللغوي.

2- العلل القياسية:

و هي العلل التي تستنبط و تستخلص عن طريق القياس و هي في عمومها بسيطة كذلك سهلة للفهم و الحفظ، و من أمثلتها «كأن يقال لمن قال: لم نصبت زيذا في قوله «إنّ زيذا قائم، و لم و جب أنّ تنصب إن الاسم؟ فالجواب في ذلك أن يقول: بأنها و أخواتها ضارعت الفعل المعتدي إلى مفعول به فحملت عليه فعملت أعماله لما ضارعته، فالمنصوب بها مشبه بالفعل به لفظاً و المرفوع بها مشتبه بالفاعل لفظاً»⁴.

1 - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص ص، 74، 75.

2 - عبد الكريم بكيري، أنظر ابن مضاء و موقفه من أصول النحو، ص 61.

3 - أنظر المرجع نفسه، ص 61.

4 - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 64.

و من أمثلة هذا النوع أيضا: حمل (ما) على (لات) و (لا) على ليس، ذلك أنّ الحروف الثلاثة شبهت بليس في العمل لمشابقتها إياها في المعنى، و إنّما أفردت عن باب كان لأنها حروف و تلك أفعال»¹.

3/- العلل الجدلية:

و هي ما يقبل به زيادة على ذلك، أي على النوعين السابقين و من خصائص هذا النوع من العلل، الغوص في متاهات فلسفية و أوهام، و هي بعيدة عن الواقع اللغوي و منحازة إلى اللامنطق.

و من أمثلة هذا النوع ما ذهب إليه النحاة في علة امتناع الاسم عن الحزم، و ما يتصل بذلك، حيث علل ابن يعيش لذلك قائلا: «و لا يدخل الاسم الحزم و إنّما لم تجزم الأسماء لتمكّنها و لزوم الحركة و التتوين لها، فلو جزمت لبطل الجازم الحركة زال بزوالها التتوين لأنّ التتوين تابع، و لو زال لاختلفت الكلم بذهاب شيئين، أحدهما الحركة و هو دليل كونه منصرفا، قليل فهلا أذهب الحازم الحركة وحدها؟ قيل: لو حذفتم الحركة الجازم لزم تحريك حرف الإعراب لسكونه و سكون التتوين بعده، و لو قلنا ذلك لعاد لفظ المجزوم، فلم يصح الحزم فيه لأنه لم يسلم»².

في مثل قولنا: أما أنت منطلقا انطلقت و أصله -كما يقول النحاة- انطلقت لأن كنت منطلقا، ثم قدّمت اللام و ما بعدها على «انطلقت» للاختصاص، ثمّ حذفتم اللام للاختصار، وحذفت «كان لذلك فانفصل الضمير ثم زيدت (ما) للتعويض ثم أدغمت النون في الميم للتقارب»³.

فهذه التعليقات واهية و لا تفيد الدرس اللغوي و بعيدة كل البعد عن الواقع اللغوي كما أشرنا و ما ذهب إليه الدكتور رمضان في هذا الكلام واقع و حقيقة و صواب في نظرنا، لأنه فعلا إذ بحثنا في تعليقات القدامى نجدها قائمة على الوهم و الجدل و الفلسفة

¹ - عبد الكريم بكيري، ابن مضاء و موقفه من أصول النحو، ص68.

² - منى إلياس، القياس في النحو، ص54.

³ - المرجع نفسه، ص156، نقلا عن سيوييه، الكتاب ج1، ص148.

و دليلنا على ذلك أنه إذا تصفحنا خصائص ابن جني في القرن الرابع للهجر نجد الكثير من المسائل النحوية و الصرفية معلة بهذا الأسلوب الوهمي، و من أمثلة ذلك ما يلي:
لننظر كيف علل ابن جني أصلية جمع التكسير لكلمتي «جرو» و «دلو»، يقول أبو الفتح: «تكسير جرو و دلو أجر و أدل، إن أصله أجرو و أدلو، فلما انكسر ما قبل الواو و هي لام قلبت ياء فصارت أجري و أدلي و إنما وجب أن يرتب هذا الترتيب من قبل أنك كما كرهت الواو هنا لما تتعرض له من الكسرة و الياء في أدلوي و ادولي لو سميت رجلا بأدلو أضفت إليه، فكما ثقل ذلك بدأوا بتغيير الحركة الضعيفة تغييرا عبطا وارتجالا، فلما صارت كسرة تطرقوا بذلك إلى قلب الواو ياء تطرقا صناعيا»¹.

إلا أنه في الحقيقة، لا نشاطر ابن جني في هذا التعليل بدليل أن العربي عندما نطق بهذه الكلمات لا نطنّ بأنه يعرف هذه الأوهام التي تصورها أبو الفتح و هنا تساءل، و ما الدليل على أن هذه الكلمات أصلها كان هكذا، ثم تطوّرت، و هل وردت عن العرب صور نطقية من هذا القبيل؟ هل الأعراب الذين جمعت عنهم اللغة كانوا يدركون هذه الأوهام؟ و عليه نقول: إنّ تعليقات ابن جني افتراضية عقلية أبعدته عن الوصف الدقيق للغة العربية و ألفاظها.

و من بين التعليقات النحوية الواهية عند ابن جني ما علل به الكسر قبل ياء المتكلم نحو غلامي و صاحبي لا هي إعراب و لا هي بناء فهي إذا منزلة بين المنزلتين و علة بنائها حسب ابن جني ثبوتها في مكان واحد على الرغم ن أنّ هذه الكلمة معربة و أمّا كونها معربة فلكونها متمكنة.

يقول أبو الفتح «... و ذلك نحو كسر ما قبل ياء المتكلم في نحو غلامي و صاحبي، فهذه الحركة لا إعراب و لا بناء، أمّا كونها غير إعراب فلأن الاسم يكون مرفوعا و منصوبا و هي فيه نحو هذا غلامي و رأيت صاحبي و ليس بين الكسر و بين الرفع و النصب في هذا و نحوه نسب و لا مقارنة، و أمّا كونها غير بناء فلأنّ الكلمة معرفة متمكنة، فليست الحركة في آخرها ببناء ألا ترى أن غلامي في التمكن و استحقاق

¹ - المرجع السابق، ص 156، نقلا عن سيبويه، الكتاب ج1، ص148.

الاعراب لعلامك و غلامهم و غلامنا، فإن قلت: في الكسر في الرفع و النصب ... قيل: بل هي من جنس ما قبلها و ليست إعراباً¹.

و تعليل ابن جني في هذا المقام فيه تصوّر بأنّ الكسرة منزلة بين المنزلتين، و هذا التعليل مستمد من «فلسفة المعتزلة التي تؤمن بهذه الفكرة -فكرة المنزلة بين المنزلتين»². هذه الأدلة تؤكّد ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب في كون تعليلات القدامى يعترئها الوهم و الفلسفة و الجدل الذي لا يفيد اللغة و لا درس اللغوي، بل يبعده عن الوصف الدقيق و العلمية.

و الباحث في بطون كتب التراث، يجد الكثير من العلل الجدلية التي تفلسف فيها العلماء، علل جعلتهم يبتعدون فعلا عن الاستقراء و أدخلتهم في أوهام لغوية كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب، و ما يؤكّد ذلك ما نجده عند ابن جني حينما حاول تفسير علة بناء أسماء الأفعال، حيث أننا نجده يطرح أسئلة و يجيب عنها ثمّ يعود و يتساءل دون أن يوجز لفكرة و يستتبطها، يقول: «فإن قيل: فمن أين وجب بناء هذه الأسماء؟ فصواب القول في ذلك أنّ علة بنائها إنما هي تضمنها معنى لام الأمر، ألا ترى أن صه بمعنى أسكت، و أنّ أصل أسكت لتسكت؟ كما أنّ أصل قم لتقم، و أقعد لتقعد، فلما تضمنت هذه الأسماء معنى لام الأمر شابها الحرف فبنيت، كما أنّ كيف و من و كم لما تضمن واحد منها معنى حرف الاستفهام بنى»³.

ثمّ يقول في الموضوع نفسه «فإن قيل ما أنكرت من فساد هذا القول من قبل أن الأسماء التي سمي بها الفعل ن الخبر مبنية أيضا نحو أف و أتاه و هيهات و ليست بينهما و بين لام الأمر نسبة؟ قيل في القول الأول، فأما هذه فإنها محولة في ذلك على بناء الأسماء المسمى بها الفعل في الأمر و النهي»⁴.

فكما هو ملاحظ فإنّ ابن جني تصوّر أسئلة قد تطرح عن علة بناء أسماء الأفعال إلا أنّ هذه الأسئلة لا تعدّ سوى ضربا من الافتراض و الجدل و كأنه أراد أن يبرهن على

¹ - ابن جني، الخصائص، ج2، ص ص، 356، 357.

² - أنظر أحمد سليمان ياقوت، دراسات نحوية في خصائص ابن جني، ص ص، 136، 137.

³ - ابن جني، الخصائص، ج3، ص49.

⁴ - المصدر نفسه، ج3، ص50.

مهارته و ذكائه في تحليل المسائل، و العلل الجدلية تقوم إذا على الجدل و كثرة الأسئلة، و ذلك كالمسائل عن أوجه الشبه بين «إن» و الفعل الذي ضارعه في العمل و بأيّ فعل من الأفعال شبهت؟ و لم شبهت بالفعل الذي قدم مفعوله على فاعله؟ و ما هي أوجه الشبه؟... الخ من الأسئلة.

إنّ الدكتور رمضان عبد التواب استنتج بأنّ القدامى انحازوا إلى المعيارية و الجدل فدخلوا في نفق وهمي لذا عالج الموضوع -موضوع التعليل- عند القدامى في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» و بين مواقفه منها، و ذلك كما يلي:

موقف الدكتور رمضان من تعليل القدامى:

إنّ المتصفح لكتاب «بحوث و مقالات في اللغة»، يجد بأنّ الدكتور رمضان عبد التواب، قد قام بجولة بحثية في موضوع العلة -كأصل من أصول النحو و اللغة- عند القدامى من اللغويين، و قد انتقدهما و بين موقفه منها، حيث أنّه استحسّن تعليلات الخليل بن أحد الفراهيدي، ثم نعت تعليلات لاحقيه، و وصفها بأنها تعليلات واهية بعيدة عن منطق اللغة و لا يعضدها دليل علمي، يقول في هذا الصدد «و أنت واقع هنا و هناك في التراث النحوي، على كثير من التعليلات الواهية التي لا يسندها قانون لغوي أو قاعدة كلية تسري على مجموعة اللغات البشرية»¹.

كما أكد غياب الاستقراء التام و الكامل لبعض صور الظاهرة اللغوية، هذا إلى جانب ذلك تحريف الروايات في بعض المسائل النحوية، و قد عزّز الدكتور رمضان عبد التواب كلامه بالكثير من الحجج التي استمدها من بطون الكتب النحوية القديمة، هذه الأمثلة تؤكّد فعلاً بعد النحاة المعلنين عن الواقع اللغوي العربي و كذا عن مبدأ «هكذا تكلمت به العرب كما يدعو إلى ذلك المنهج الوصفي».

فلننظر مثلاً كيف علل النحاة القدامى منذ أيام سيبويه حذف كان الناسخة بعد أن المصدرية، في مثل قولك «أما أنت منطلقاً انطلقت»، و أصله كما يقول النحاة، انطلقت لأنّ كنت منطلقاً، ثمّ قدّمت اللام و ما بعدها على انطلقت» للاختصاص ثمّ حذفت اللام

¹ -رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص152.

للاختصار، و حذفت «كان» لذلك، فانفصل الضمير، ثم زيدت (ما) للتعويض ثمّ أدغمت النون في الميم»¹.

فهذا كله تعليل وهمي بعيد عن منطق اللغة و دليل على غياب الاستقراء الدقيق عند النحاة القدامى، و من الأمثلة الأخرى التي ذكرها الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» و التي تؤكّد غياب التعليل الاستقرائي عند النحاة القدامى و على رأسه سيبويه، تعليقهم على قول الشاعر:

معاوي إنّنا بشر فاسجح فلسنا بالجمال و لا الحديدا

فحاولوا تعليل سبب مجيء «الحديد» منصوبة و هي معطوفة على «الجمال» المجرورة، فقال سيبويه: كأنه أراد: لسنا بالجمال و لا الحديد، فرد الحديد قبل دخول الباء. و من الأمثلة الأخرى التي أوردتها الدكتور رمضان عبد التواب لتأكيد بعد النحاة القدامى عن الدراسة الوصفية للقواعد العربية و دخولهم في أوهام، ما ذكره الزجاجي في تعليل إعراب المثنى من اسم الإشارة واسم الموصول: هذان، اللذان، فإن قال قائل: فما بالك تقول: أتاني اللذان في الدار و رأيت اللذين في الدار، فتعرب كل ما لا يعرب في تثنيته نحو هذان و هذين، و أنت لا تعرب هذا و لا هؤلاء؟ فالجواب في ذلك أنّ جمع ما لا يعرب في الواحد مشتبه بالحرف الذي جاء لمعنى، فإذا تثنيته فقد بطل شبه الحرف الذي جاء لمعنى، لأنّ حروف المعاني لا تثنى»².

هذا تعليل الزجاجي، و قد عدّه الدكتور رمضان عبد التواب هذيانا، و كلام لا يعضده دليل علمي مقنع، و هو تعليل واهي، و الحقيقة أنّ اسم الإشارة المثنى واسم الموصول المثنى من المعربات، فيرفعان بالألف و ينصبان و يجران بالياء. و إعرابهما: أتاني اللذان في الدار: اللذان فاعل مرفوع و علامة الرفع الألف، لأنه مثنى. و رأيت اللذين في الدار: اللذين ههنا: يعرب مفعول به منصوب و علامة النصب الياء لأنه ثنى و نظرا لهذه الزلات التي وقع فيها القدامى في التعليل راح الدكتور رمضان عبد التواب

¹ - المصدر نفسه، ص155.

² - أنظر رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص153.

ينصح و يحذر الدارسين من الوقوع في هذه المزلات و ينصحهم بوجوب إعمال الفكر في المنقول عن هؤلاء النحاة من مختلف التفسيرات للظواهر اللغوية¹.

لقد أثبت الدكتور رمضان جدارته في التعليل المنطقي في مؤلفه «بحوث و مقالات في اللغة» حينما قام بتصحيح بعض المسائل الصرفية و النحوية معتمداً في ذلك على جملة من المناهج و النظريات التي تعدّ جديدة من إبداعه الشخصي لنظرية الركام اللغوي هذه النظرية التي تؤمن بالتطور اللغوي للغة من حيث الأصوات و الأبنية و التراكيب.

و يذكر الدكتور رمضان عبد التواب أنّ هذا المصطلح الذي اصطنعه هو، قد اقتبسه من المصطلح الجغرافي (الركام الحجري) و يقصد به الأحجار التي تحركها السيول و الانهيارات الثلجية من مكان إلى مكان، أمّا هو فيعني به بقايا الظواهر اللغوية المندثرة. يقول: «أمّا نحن فنعني بمصطلحنا الركام اللغوي، بقايا الظواهر اللغوية المندثرة، لأننا نعتقد الظاهرة اللغوية الجديدة لا تمحو الظاهرة القديمة بين يوم و ليلة، بل تسير معها جنباً إلى جنب مدة من الزمن و قد تطول و قد تقصر، و هي حين تتغلب عليها لا تقضي على أفرادها قضاء مبرما، بل تبقى منها بعض الأمثلة التي تصارع الدهر و تبقى على مر الزمن»².

و بناء على هذه النظرية الجديدة واعتماداً على المنهج التاريخي و المنهج المقارن، تمكّن الدكتور رمضان عبد التواب من تعليل و تفسير عدّة مسائل لغوية وجدت عند الرعيل الأول من علماء اللغة العرب.

آراء الدكتور رمضان عبد التواب في التعليل و علم اللغة الحديث:

من خلال ما تقدّم يتضح أن الدكتور رمضان عبد التواب انتقد ظاهرة التعليل عند القدامى و أكد رفضه التام لها بحكم أنها: تعليقات ضنية واهية قائمة على المنطق الصوري الذي يعدّ منهاجا صالحا للبحث اللغوي، ثمّ أكد أنّ تعليقات القدامى ترمي إلى السؤال عن الغاية التي تتعلق بالذهن دون التقيّد بشكل اللغة، كما أنّها تعليقات فلسفية

¹ - أنظر المصدر نفسه، ص153.

² - المصدر السابق، ص154.

ذهنية يأبأها العلم و هذا كله يتنافى مع التعليل الوصفي مع اعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية توصف بذكر خواصها.

و من هذا المنطلق يدعو الدكتور رمضان إلى وجوب تطبيق المنهج الوصفي في دراسة اللغة العربية و التراث و تطبيق مبدأ «هكذا تكلمت العرب أو بالأحرى دراسة العربية في ذاتها و من أجل ذاتها».

إنّ ما تبناه الدكتور رمضان عبد التواب يتفق تماما ما دعا إليه علم الحديث خاصة المنهج الوصفي، ذلك أنّ الوصفيين يرفضون عنصر العقل في الدرس اللغوي رفضا تاما، يقول أندري مارتيني: «البنويون يتفقون اليوم على أولية التحليل الوصفي للغة و على نبذ جميع التحليلات المنطقية و العقلية»¹.

و من هنا رفض الوصفيون مبدأ العلة و دعوا إلى التخلص منها و إبعادها من البحث اللغوي لكونها ليست من العلم، إذ أنّ العلم كما يرون يكتفي بالملاحظة الخارجية و يكتفي بالملاحظة التساؤل عن الكيف، و لا يتعدى إلى العلل الثواني و الثوالت أو الجدل. هنا نستنتج أن ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب يتفق مع ما تبناه الاتجاه الوصفي الحديث في الدراسات اللغوية، هذا المذهب أو الاتجاه ينطلق في دراسة اللغة من وصف لذاتها و من أجل دراستها دراسة شكلية خارجية و يصفها صوتيا صرفيا و نحويا. الوصفيون ينفرون من التعليل القائم على التأويل و التقدير و المقايسة العقلية بين ظاهرتين، و العلة المقبولة عندهم «هكذا تكلمت العرب».

و التعليل جزء مهم في الوصف لأنّ اللغوي لا بدّ له من أن يقدم لنا تعليلا و تفسيراً معقولا يتقبله الذوق و إلا ما الجدوى من الوصف، لذا نجد الدكتور رمضان عبد التواب فهم الوصف على أنه تقرير الحقائق كما هي. و الدكتور رمضان عبد التواب في دعوته إلى الوصفية في الدرس اللغوي العربي متأثر بما تبناه الفرنسي مارتيني و الأمريكي بلومفيلد، حينما نصحا بوجوب تطبيق العلمية في منهج دراسة اللغة.²

¹ - ANDRI. Martinét, Elément de linguistique générale, P3.

² - ابراهيم أنيس، أسرار اللغة، ص38.

و من اللغويين العرب المحدثين الذين انتقدوا ظاهرة التعليل عند القدامى و طالبوا بإعادة النظر في تعليلات القدامى ما يلي:

- 1/- الدكتور محمود السمران، في كتابه: علم اللغة مقدمة للقاريء العربي.
- 2/- الدكتور عبد الرحمان أيوب، في كتابه: دراسات نقدية في النحو العربي.
- 3/- الدكتور تمام حسان، في كتابه: اللغة بين المعيارية و الوصفية.
- 4/- الدكتور ابراهيم السمراني، في كتابه: الفعل زمانه و أبنيته و النحو العربي نقد و بناء.
- 5/- الدكتور محمد عيد، الذي نادى بدراسة اللغة وفق منهج المدرسة البنيوية الوصفية.
- 6/- الدكتور عبد الرحمان أيوب، الذي رفض العلل المنطقية في النحو العربي.

هؤلاء كلهم انتقدوا التعليل عند القدامى، و بينوا مواطن إخفاق العلة، و طالبوا بتطبيق المنهج الوصفي، و بذلك رفض نظرية العامل و التعليلات الجدلية، يقول الدكتور تمام حسان «إنّ المعروف في كل منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر أنه يعني أولاً و أخيراً بالإجابة عن كيف تتم هذه الظاهرة أو تلك، فإذا تعدى هذا النوع إلى الإجابة عن لماذا؟ تتم هذه الظاهرة أو تلك لم يعد هذا المنهج علمياً»¹.

*ظاهرة الشذوذ اللغوي و آراء الدكتور رمضان عبد التواب فيها:

«الشذوذ في اللغة مصدر، الفعل منه شدّ يشدّ شذوذاً، و معناه الانفراد عن الجمهور، فهو شاذ، و أشده غيره»².

«و هو ما فارق ما عليه بقية بابه، وانفرد عن ذلك إلى غيره، و شد الرجل إذا انفرد عن أصحابه، و كذلك كل شيء منفرد فهو شاذ»³.

قال الفيروز بادي: «أشد جاء يقول: شاذ و الشيء نحاه أو أقصاه»⁴.

فالشاذ إذن هو الانفراد و الخروج عن المؤلف، أمّا في الاصطلاح، فالشذوذ يقابله الإطراد، و الشاذ يقابله المطرد، فيعني التفرّق و التفرّد، و هو ما فارق بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذاً.

¹ - تمام حسان، اللغة بين المعيارية و الوصفية، ص44.

² - اسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة و صحاح العربية، ج3، ص15.

³ - ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص494.

⁴ - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، ص354.

ظاهرة الشذوذ من الظواهر التي تميّز بها علم النحو عند القدامى إذ لا توجد فيه قاعدة إلا و لها شاذ، بل إنه كثيرا ما تقابلنا في كتب النحو العربي عبارة «هذا شاذ» و «هي لغة شاذة»، و قد اجتهد علماء العرب في تعريف الشاذ و حصر أمثلته، إلا أنهم تغافلوا عن توضيح أسبابه و علله¹، و لم يجتهدوا في تفسيره، لذا خصّص الدكتور رمضان عبد التواب فصلا في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة، ليزيل اللبس عن مسألة الشذوذ و أبدى آراءه فيها و ذلك كما يلي:

أسباب الشذوذ اللغوي عند الدكتور رمضان:

لقد علل الدكتور رمضان عبد التواب أسباب ظاهرة الشذوذ في النحو و اللغة إلى سبب من الأسباب الثلاثة التالية:

1- إمّا أن تكون هذه الشواذ بقايا عالقة قديمة ماتت و اندثرت و هي ما سماها بـ «الركام اللغوي» للظواهر المندثرة.

2- إمّا أن يكون هذا الشاذ بداية و إرھاصا لتطور جديد لظاهرة من الظواهر تسود حلقة تالية و تقضي على سلفها في الحلقة القديمة.

3- «و إمّا أن يكون هذا الشاذ شيئا مستعارا من نظام لغوي مجاور»².

و من الأسباب الأخرى لظاهرة الشذوذ في العربية اعتماد القدامى على المنهج المعياري في دراسة العربية و اعتماد القياس كأصل من أصول النحو، هذا القياس الذي أدى إلى ظهور فكرة الشذوذ و ظاهرة التأويل و التقدير.

و قد وضّح الدكتور رمضان في كتابه "بحوث و مقالات في اللغة" معنى مصطلح «الركام اللغوي» و الذي اتخذه وسيلة لتحليل ظاهرة الشذوذ في النحو و تصحيح بعض الأخطاء التي كانت سائدة في أذهان علماء اللغة و النحو قديما.

و الركام اللغوي على حدّ تعبير صاحبه الدكتور رمضان عبد التواب يعني «بقايا الظواهر اللغوية المندثرة، لأننا نعتقد أنّ الظاهرة اللغوية الجديدة لا تمحو الظاهر القديمة

¹ - أنظر رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص 57.

² - رمضان عبد التواب، أنظر بحوث و مقالات في اللغة، ص ص، 74، 75.

بين يوم و ليلة، بل تسير معها جنباً إلى جنب مدّة من الزمن و قد تطول و تقصر و هي حين تتغلب عليها لا تقضي على أفرادها قضاء مبرماً، بل تبقى منها بعض الأمثل التي تصارع الدهر و تبقى على مرّ الزمن»¹.

*المسائل الشاذة التي فسرها الدكتور رمضان عبد التواب:

اعتمد الدكتور رمضان عبد التواب على المنهج التاريخي و المنهج المقارن و نظرية «الركام اللغوي» واستطاع أن يعلل الكثير من الأمثلة الشاذة في العربية، و بذلك قضى على ظاهرة التأويل التي كانت سائدة عند القدامى، و صحّح مختلف الأوهام التي كانت متخلخلة في أذهان العلماء، من بين الشواذ التي فسرها و أبدى آراءه فيها ما يلي:

1/- لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة):

القاعدة المطردة عند النحاة القدامى تقوم على أساس المخالفة بين الفعل و الفاعل في حالتها التثنية و الجمع، فيقال مثلاً: جاء المدير، جاء المديران و جاء المدراء، لكن ثمة وجود أمثلة و ظواهر لغوية في العربية الفصحى تمثل خروجاً عن هذه القاعدة المطردة و تحققت فيها المطابقة بين الفعل و الفاعل و هي اللغة التي يطلق عليها: "لغة أكلوني البراغيث"، و قد وردت في العربية الفصحى و في التراث العربي الكثير من الأمثلة من هذا النوع و من ذلك: قوله تعالى: «و أسروا النجوى الذين ظلموا»². قوله تعالى: «ثم عموا و صموا كثير منهم»³، و لقد لجأ العلماء العرب و النحاة إلى التأويل و التقدير لتعليل و تخريج مثل هذه الأمثلة.

و من هؤلاء الإمام القرطبي الذي فسرها قائلاً: «ثم عموا و صموا كثير منهم» أي عمي كثير و صم بعد تبين الحق له بمحمد (عليه الصلاة و السلام) فارتفع كثير على البدلية من الواو، كقولنا: جاء القوم ثلثهم ... و إن شئت كان على إضمار مبتدأ، أي العمي و الصم كثير منهم، و يجوز أن يكون على (لغة أكلوني البراغيث)⁴.

¹ - المصدر نفسه، ص75.

² -سورة الأنبياء، الآية03.

³ - سورة المائدة، الآية 71.

⁴ - أنظر حسام البهنساوي، الجهود اللغوية عند الدكتور رمضان عبد التواب، مقال في كتاب، هؤلاء علمونا، ص85.

و قال في الآية الثانية: «و أسروا النجوى الذين ظلموا»، أي تتاجوا فيما بينهم بالتكذيب ثم بين من هم، فقال الذين ظلوا أي الذين أشركوا، فالذين ظلموا بدل من الواو في أسروا و هو عائد على الناس المتقدم أمرهم.

و قال المبرد: و هو قولك: إنّ الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله، فبنوا بدل من الواو في انطلقوا.

و قيل: هو رفع على الذم، أي الذين ظلموا، و قيل عبر حذف القول، أي يقول: الذين ظلموا، و قول رابع: أن يكون منصوبا بمعنى أعني الذين ظلموا.

و كما نلاحظ هنا تعدّد التعاليل و كان التأويل و الافتراض سيّد التخرّيج.

لكن الدكتور رمضان عبد التواب له رأي آخر في المسألة، إذ تمكّن من إيجاد تخرّيج علمي واضح و مقنع و ذلك بالاحتكام إلى نظرية الركام اللغوي التي أبدعها و إلى علم اللغة التاريخي و علم اللغة المقارن، و بذلك قضى على كل الافتراضات الظنية التي كانت سائدة من قبل في تحليل هذه الآيات نحويًا.

بحيث أفاض الأستاذ رمضان عبد التواب في بيان الأصل السامي القديم، و أكد وجود هذه الظاهرة في العربية الفصحى و اللهجات العربية القديمة و الحديثة، و ممّا قاله: «إنّ مقارنة اللغات السامية أخوات العربية تؤدي إلى معرفة الأصل في تلك اللغات أن يلحق الفعل علامة التثنية و الجمع، كما تلحقه علامات التأنيث عندما يكون الفاعل مؤنثًا سواء بسواء»¹.

و قال: «و قد تخلصت العربية الفصحى من هذه الظاهرة رويدا رويدا غير أنّ بقاياها ظلت عند بعض القبائل العربية القديمة، كما بعض أمثلتها في الفصحى»². و لتأكيد هذه الفكرة عزّز الدكتور رمضان كلامه بحجج لغوية و أمثلة حيّة من اللغات السامية و اللهجات العربية القديمة و الحديثة.

ففي اللغة العبرية مثلا نجد هذه الظاهرة، كما في قولهم: «Loyakomursaim» و ترجمتها الحرفية: «لا يقومون الأشرار بالعدل».

¹ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص69.

² - المصدر نفسه، ص70.

و في الأرمية قولهم: «dalma ngurun hrane battak» و ترجمته: «لئلا يزنو الآخرون بامرأتك»¹.

و في اللهجات تأكدت هذه الظاهرة، بدليل ما نسمعه يوميا ه امتداد لهذا الأصل القديم، و من ذلك قولهم: «نجحوا أولادي، خوفوني أهلي، ظلوني الناس، زارونا الجيران ...»².

«و في الشعر العربي أيضا ورود الكثير من الأبيات الشعرية من هذا القبيل، و من أمثلة ذلك ما ورد عن الشاعر عمرو بن لقط الطائي الجاهلي:

ألفيتا عيناك عند القفا * * * أولى فأولى لك ذا وقية
و قول أمية بن أبي الصلت:

يلومونني في اشتراء النخيل * * * ل أهلي فكلكم يعدل»³.

هذه الأدلة تثبت فعلا بأن لغة أكلوني البراغيث أصيلة و صحيحة تمتد جذورها في التراث اللغوي العربي و أنّ المطابقة بين الفعل و فاعله في التثنية و الجمع هي الصورة الأقدم في الساميات و الذي تخلت عنه العربية الفصحى مع نزل القرآن الكريم و إن بقيت بعض الأمثلة التي تدل على هذا الأصل.

و لتأكيد هذه الظاهرة النحوية عزّز الدكتور رمضان المسألة بكثير من الأمثلة من اللهجات العربية القديمة، «كقبيلة طيء و قبيلة بلحارث، فهذا أبو تمام الطائي وردت عنه الكثير من الأبيات الشعرية على هذه اللغة.
يقول أبو تمام:

شجى في الحشى ترداده ليس يفتر * * * به صمن أمالي و إني لمفطر»⁴.

فكما هو ملاحظ في البيت أظهر أبو تمام علامة الجمع في الفعل صمن تبعا للفاعل الذي جاء أيضا بالجمع «أمالي».

و من الأمثلة الأخرى، قول أبي تمام الطائي:

¹ - المصدر نفسه، ص79

² - المصدر نفسه، ص70.

³ - المصدر السابق، ص71.

⁴ - المصدر نفسه، ص251.

و غدا تبين كيف غبّ مدائحي *** إن ملن به همومي إلى بغداد
 هنا نجد المطابقة بين الفعل و فاعله في جملة: ملن به همومي: الفعل ألحقت به نون
 التأنيث للجمع بحكم أنّ الفاعل جاء جمعا للمؤنث (همومي)¹.
 و تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الظاهرة -ظاهرة مطابقة الفعل لفاعله الأصيلة- امتدت إلى
 لهجاتها المعاصرة.

«ففي اللهجة الجزائرية، يقال: حاو الطلبة ضربوني أولاد الجيران، راحوا لولاد يلعبوا».
 و في اللهجة المصرية، يقال: «ظلموني الناس»، و في اللهجة العراقية، يقولون: «جوا
 الطلاب»، و في اللهجة المغربية «جاو الناس، جاو الخدام ديال الملك»².
 «فهذه الظاهرة إذا عامة في اللهجات العربية و ليست حديثة، بل قديمة، بل هي امتداد
 للأصل السامي و اللهجات القديمة، و هي في بعض أصولها أقدم من الفصحى نفسها»³.
4/- تيسير النحو:

بالإضافة إلى القياس و التعليل و الاحتجاج التي ناقشها الدكتور رمضان عبد
 التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة»، تناول أيضا مسألة «تيسير النحو»، هذه
 الظاهرة الحديثة و التي نادى بها الكثير من اللغويين المحدثين و المعاصرين، و قد تناولها
 الدكتور رمضان عبد التواب بالتحليل و الانتقاد و بين موقفه و آراءه السديدة من هذه
 المسألة.

لكن قبل أن نوضّح هذه المواقف و هذه الآراء من الضروري توضيح معنى تيسير النحو
 و أسبابه و زعمائه.

يعرّف الدكتور عبد الرحمان حاج صالح التيسير بقوله: «هو تكييف النحو
 و الصرف مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة، عن طريق تبسيط الصورة التي
 تعرض فيها القواعد على المتعلمين، و على هذا ينحصر التيسير في كيفية تعليم النحو لا
 في النحو ذاته»، و قد جاءت هذه الفكرة حديثا بعدة مصطلحات و هي:

¹ - المصدر نفسه، ص151.

² - أنظر الشريف ميهوبي، دراسة في التطور و التأصيل، ص38.

³ - أنظر المرجع نفسه، ص38.

- 1- التيسير: و هو الالتزام بطرائق التدريس التربوي و تبويب النحو تبويبا حديثا.
- 2- التجديد: و هو اتجاه ينادي بتجاوز فكرة التيسير إلى أبعد من ذلك للوصول إلى تغيير في المنهج و لا يعني ذلك أن ننسخ من القديم، بل تفسير القديم تفسيراً جديداً.
- 3- التبسيط: مرادف لمصطلح التيسير، فه تيسير لا يمس جوهر اللغة، بل تيسير أمر تعليم اللغة و التخفيف من المشكلات اللغوية و من مصطلحاته أيضاً: الإحياء، الإصلاح التعديل، و هذه المصطلحات كلها كانت سابقة و ممهّدة لكل عملية تيسير، و أنه أريد لها عند أصحابها أن تكون سابقة و ممهّدة لكل عملية تيسير، لقد كثرت محاولات التيسير و الدعوة إليه في العصر الحديث كثرة ملفتة للنظر، و هذه الدعوات كانت نتيجة للأسباب التالية:

- 1- اتصاف النحو العربي بالمنطق المعياري الذي يحاول الوصول إلى ضوابط مطردة و فرضها على اللغة.
 - 2- كثرة العلل الثواني و الثوالت في مسائل النحو العربي لا سيما عند القدامى.
 - 3- المبالغة في نظرية العامل.
 - 4- كثرة التقديرات و التعسف في نظرية العامل.
 - 5- الإتكال على العلامة الإعرابية.
 - 6- تداخل المصطلحات و تعددها للمفهوم الواحد.
 - 7- اختلاف الأقوال في المسألة الواحدة.
 - 8- القصور في تعريف المصطلحات النحوية.
 - 9- وجود مجموعة كبيرة من غير النحاة قد ألفت بنفسها في هذا التيار التيسيري دون وعي تام بإبعاد المادة الموضوعية في النحو العربي .
- * زعماء الدعوة إلى تيسير النحو حديثاً:
- ترزّم فكرة تيسير النحو و الدعوة إليها نخبة من اللغويين المحدثين و المعاصرين و هم:
- 1- ابراهيم مصطفى: في كتابه «إحياء النحو»:

و فيه يرفض نظرية العامل و التوسّع في الإعراب التقديري، و يرى أنّ علامات الإعراب يجب أن تدرس على أنّها علامات للمعاني، و هو يقرر أنّ الضمة علامة الإسناد و دليل على أنّ الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها و الكسرة دلالة الإضافة و إشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها أو بغير أداة، و لا يخرج كل منهما من هذه إلا أن يكون في بناء أو اتباع، و للإعراب الضمة و الكسرة فقط، و ليست أثرا لعامل من اللفظ، بل هما من عمل المتكلم ليدل لها على معنى تأليف الكلام، فالفتحة عنده تدل على معنى، كالضمة و الكسرة، فليست بعلامة الإعراب، و لكنها الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يحبون أن يشكل لها آخر الكلمة.

2- الدكتور شوقي ضيف:

و يظهر ذلك في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن مضاء، مؤيدا له آراءه و داعيا إلى الاستجابة لدعوة ابن مضاء و وضع تصنيف جديد للنحو، و في كتابه تجديد النحو أيضا (1982م) و أهم أسس تجديد النحو عنده ما يلي:

1- إعادة تنسيق أبواب النحو.

2- إلغاء الإعراب التقديري و المحلي.

3- وجوب حذف 18 بابا من النحو.

4- وضع ضوابط و تعريفات دقيقة.

5- حذف الزوائد.

6- استعمال نواقص ضرورية.

3- الدكتور تمام حسان:

تمام حسان الذي دعا في كتابيه «العربية بين المعيارية و الوصفية» (1958م) و اللغة العربية معناها و مبناها (1973م)، إلى وجوب إعادة النظر في النحو العربي، بعد أن انتقد القواعد النحوية القديمة و أيّد ابن مضاء في رفض نظرية العامل، و يرى الأعمال في اللغة، و المقصود من أيّ حركة إعرابية هو الربط بينها و بين المعنى الوظيفي للكلمة، و قد اتبع المنهج الوصفي في دراسة اللغة و ن ذلك دعا إلى إعادة ترتيب

الأفكار اللغوية عند سيبويه و الجرجاني، و يرى أنّ فكرة تضافر القرائن هي الفكرة المركزية في النحو العربي، و أنّ فهم التعليق وجه كاف للقضاء على خرافة العمل النحوي و العوامل النحوية و التعليق يتحدّد بوساطة القرائن معا في الأبواب و السياق و يفسّر العلاقات بينهما بصورة أوفى.

4/- مهدي المخزومي:

و ذلك في كتابه «في النحو العربي نقد و توجيه 1964م»، و يرى أنّ النحوي ليس له أن يفرض على المتكلمين قاعدة و لا أن يخطر لهم أسلوب، لأنّ النحو دراسة وصفية تطبيقية، و أنّ تيسير النحو لا يقوم على الاختصار و لا على حذف الشروحات النحوية و التعليقات و الحواشي التي تملأ بطون كتب النحو، و لكنه عرض جديد لموضوعات النحو خلال إصلاح شامل لمنهج الدرس النحوي و موضوعاته.

و يرى أنّ الدرس النحوي ينبغي أن يعالج جانبين مهمّين و هما: الجملة من حيث تأليفها و نظامها و ما يعرض على الجملة من معان تؤديها كالتوكيد و أدواته، و هو في هذا المقام يتبع ابراهيم مصطفى في أنّ الضمة علم الاسناد و الكسرة علم الاضافة و ليس أثر لعامل من اللفظ، بل هما من عمل المتكلم ليدل بها على معنى تأليف الكلام، و الفتحة لا تدل على معنى، و لكنها الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب.

5/- ابراهيم السمراي:

و ذلك في كتابه: «النحو العربي نقد و بناء 1968م»، و فيه أبطل مسألة العلة و العامل، و أخذ بالمنهج الوصفي في دراسة اللغة، و قد استفاد من دراسة الدكتور تمام حسان في كتابه: «الأصول»، و قد قسم كتابه إلى قسم يدرس الأصوات العربية و الكلمة و بناؤها، و الأسماء و ما تشمل عليه، و قسم نحوي يدرس أنواع الجملة و الأفعال و أنواع الإعراب و المرفوعات و المنصوبات و الجر و التوابع، و يرى أنّ هذه المواد هي التي ينبغي لطالب النحو أن يتزوّد بها، و لكن ذلك لا يغني عن معرفة النحو القديم معرفة جيّدة على الأصول و الفروع و على الأساليب التي درج عليها الأقدمون.

6/- الدكتور عبده الراجحي:

في كتابه: «النحو العربي و الدرس الحديث 1979م»، و فيه يشير إلى أننا في حاجة ملحة للبحث في منهج النحويين، فالبحث في منهج نحوي جديد، و يناقش الراجحي في هذا الكتاب ملامسات نشأة النحو و اختلاطه بالفقه و أصوله، ثمّ يعرض موقف المنهج الوصفي من هذا النحو، ثمّ يفرد فصلا كاملا لقضية صلة النحو العربي بالمنطق الأريسطي، و أخيرا يعرض أصول نظرية النحو التحويلي و طريقتة في التحليل، ثمّ الجوانب التحويلية في النحو العربي.

ثمّ توالى محاولات التيسير و الدعوة إليه من أهمّها تيسير النحو 1984م لصاحبه عبد الستار الجوادى، الذي انتقد نظرية العامل و المبالغة فيها.

و عبد القادر الفاسي الفهري، في كتابه: «اللسانيات و اللغة العربية 1985م» و دعا إلى استثمار النظريات اللسانية الحديثة في تجديد النحو، هذا إلى جانب بعض الباحثين الذين دعوا إلى فكرة التجديد في ثانيا كتبهم و مقالاتهم، و حجة هؤلاء كلهم تركز حول صعوبة تعلم العربية الفصحى و تعليمها و بالتالي يستوجب تيسير النحو و تجديده.

الدعوة إلى العامية و استبدال الخط العربي:

و نتيجة لشيوع هذه الفكرة و اتساع دائرة التيسير و التبسيط و التجديد، ظهر فريق آخر من اللغويين يدعو إلى ترك العربية الفصحى و استبدالها بالعامية و هو ما يعرف بفكرة الدعوة إلى العامية، و هذه الفكرة ترتبط بالاستشراق و أهدافه المسطرة التي من خلالها يريد هدم الأمة الإسلامية، و كانت الدعوة إلى العامية سبيلا لتحقيق الهدف الكبير و هو إقصاء القرآن أساسا، و لا يتم إقصاء القرآن حتى تتوارى اللغة العربية، و ذلك لا يتمّ إلا عن طريق التعليم.

و كانت هذه الدعوة محاولة لإيقاف نمو اللغة العربية عن التوسّع مع انتشار الإسلام في قلب افريقيا و آسيا.

«و قد تحجّج هؤلاء بدعوتهم إلى العامية بحجج واهية و أوهام مصطنعة، تتلخص فيما يلي:

1- إنّ اللغة العربية تعيق الإختراع، و أنها لغة ميتة، و أنها فقيرة من حيث المصطلحات العلمية الحديثة و غناها بالمعاني و المسمّيات القديمة.

2- العربية الفصيحة فيها صعوبة و تعقيد، فهي في نظرهم معقدة القواعد و بالتالي صعبة للتعلّم و التعليم.

3- الفصحى كثيرة الشذوذ في مسائلها و قضاياها الصرفية و النحوية، لذا وصفت على حدّ زعمهم بالنقل على أهلها.

4- الفصحى لغة جامدة لا تواكب العصر و غير صالحة للحياة الحديثة، و وسط هذا الضخم الهائل ن النظريات الفلسفية و الاجتماعية الحديثة»¹.

5- «العامية في الوطن العربي شكل صحيح من أشكال الفصحى، عنها تطوّرت و عنها أخذت، و إنّ استخدام العامية لن يقطع الصلة بيننا و بين الفصحى»².
و قد نادى بهذه الفكرة الكثير من اللغويين، نذكر منهم:

1- يعقوب صروف.

2- يعقوب صنوع.

3- رفاعة الطهطاوي.

4- أنيس فريجة.

5- سعيد عقل.

6- أحمد لطفي السيد.

7- سلامة موسى.

8- البريطاني: اللورد درفين.

9- وليام ويلكس.

¹ - أنظر رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص ص، 166، 167.

² - أنظر المصدر نفسه، ص 174.

10-كارل فولرس و آخرون.

و هؤلاء بعضهم لا ينتمي أصلا إلى العربية و ليس بينه و بين العرب أي صلة و بعضهم الآخر ينتمي إلى العرب بالاسم فقط، هو في جوهر أفكاره و معقداته و عواطفه غربي محض، و بعضهم الآخر يدعو إلى العامية و لا علاقة له بالدراسات اللغوية.

و منهم أيضا من يدعو إلى ترك الكتابة بالخط العربي الأصيل و وجوب استبداله بالخط اللاتيني، و حجج هؤلاء ما يلي:

1-الخط العربي فيه عيوب، بحجة تشابه بعض حروفه في الرسم و الكتابة على الرغم من اختلافها في التنقيط، مثل: التاء، الباء، و مثل: القاف و الفاء، مثل: الجيم الخاء و الحاء.... الخ.

2-اتصاف هذا الخط بالصعوبة في الكتابة، خاصة في مواطن ثبتت الهمزة سواء على الألف أو على الواو، أو على الألف المقصورة أو على النبرة تبعا لطبيعة نطق الهمزة و تبعا لحركة ما قلبها.

3-الخط العربي الأصيل في نظر هؤلاء سبب تخلف العرب، لذا يستوجب الأمر لاستبداله بالخط اللاتيني الذي يعد حسبهم رمزا للتقدم و التحضر»¹.

و من زعماء هذه الدعوة المستشرقون الحاقدون على العربية و مقومات الأمة العربية، و كذا بعض العملاء لهذا الفريق و الذين يسعون إلى هدم كيان العرب و قطع الصلة بينهم و بين قديمهم و الحكم على كتاب المسلمين (القرآن) بالموت لأن هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم و يضم بعضهم البعض، و على رأس هؤلاء: سلامة موسى عبد العزيز فهمي، سعيد عقل، عثمان جلال.

*موقف الدكتور رمضان عبد التواب من هذه الدعاوى:

لقد تناول الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» مسائل: الدعوة إلى التجديد استبدال الفصحى بالعامية واستبدال الخط العربي بالتحليل

¹ - أنظر المصدر السابق، ص176.

و المناقشة و الانتقاد، فبيّن مواقف من هذه المسائل و تبني آراء فيها، فأما مواقفه فكانت كما يلي:

- 1-الرفض التام لهذه الدعاوى.
- 2-تكذيب كل المزاعم و الحجج التي تحجج بها هؤلاء، و في نظره هي حجج واهية لا يعضدها دليل علمي في الواقع اللغوي.
- 3-عدّ هذا الفريق، فريقاً حقوداً على العربية و الدين الإسلامي، و هدف هؤلاء من ذلك ضرب الفصحى و الدين الإسلامي الحنيف و منه ضرب كيان الأمة العربية في الصميم. و قد ردّ الدكتور رمضان عبد التواب على هذه المزاعم الواهية بالحجة و الدليل و بالاعتماد على المنهج اللغوي التقابلي، هذا الردّ الذي يتضمّن آراءه السديدة و العلمية و ذلك كما يلي:

1-إذا كان هؤلاء يصفون العربية الفصحى بالتعقيد و الصعوبة و كثرة الشذوذ و الإعراب المعقد، فإنّ الدكتور رمضان يرى بأنّ هذه الحجة ليست مقنعة بحكم وجود لغات فيها إعراب معقد أكثر ممّا هو موجود في العربية و دليله في ذلك اللغة الألمانية «فهذه هي اللغة الألمانية مثلاً تقسم أسماءها اعتباراً إلى مذكّر و مؤنث و جنس ثالث لا تعرفه العربية و هو "المحايد" و تضع لكل واحد من هذه الأجناس الثلاثة، أربع حالات إعرابية و هي: الفاعلية و المفعولية و الإضافة و القابلية، و الحالة الأخيرة، حالة لا تعرفها العربية، و هي إعراب المفعول الثاني، فهي من حالات المفعولية في العربية و ليست حالة خاصة فيها، تلك هي حالات إعراب الاسم لمفرد المعرّف في الألمانية»¹.

- «المفرد المذكر له أربع حالات أخرى، و كذلك نجد في الألمانية: الجمع المعرف و الجمع المذكر»².

الجملة في اللغة الألمانية تتميز بالتعقيد أكثر من الجملة العربية، ذلك «أنّ بناء الجملة في الألمانية له نظام صارم، فالفعل يحتل فيها المرتبة الثانية، إلا في الجمل الفرعية، كالجمل التعليلية مثلاً، فإنّ الفعل يؤخر فيها إلى نهاية الجملة»¹.

¹ - المصدر السابق، ص167.

² - المصدر نفسه، ص167

2/- إذا كان دعاة التجديد و العامية يتهمون العربية بكثرة الشذوذ في مسائلها الصرفية و النحوية، فإنّ الدكتور رمضان عبد التواب يكذب هذا المزعم، يرى بأنّ ظاهرة الشذوذ نسبية في العربية، في حين أنّ الألمانية أوسع من حيث هذه الظاهرة «و إن من يشكو من كثرة جموع التكسير في العربية و غلبة الشذوذ على قواعد هذا الجمع فيها سيحمد للعربية الإطار النسبي في هذه القواعد، إذا درس اللغة الألمانية و رأى كثرة صيغ هذا الجموع فيها و فقدان القاعدة التي تخضع لها تماما إلى درجة أن كل كتاب في تعليم قواعد الألمانية، تبدأ صفحاته الأولى بهذه العبارة: "احفظ مع كل اسم أداة تعريفه و صيغة جمعه لأنه ليست هناك قاعدة لذلك"².

على هذا الأساس يرى الدكتور رمضان عبد التواب أنه ليست العربية بدعا بين اللغات في صعوبة قواعدها، و بهذا الرأي دحض هذا المزعم القائل بصعوبة قواعد العربية الفصحى.

أمّا فيما يخص قولهم بأنّ العربية لغة جامدة لا تواكب عصر النهضة و غير صالحة للحياة، فقد ردّ عليه الدكتور رمضان برأي علمي واقعي مفاده أنّ قيمتها تتأكد حينما يقدّسها أهلها و الناطقون بها، «بالاستعمال و الممارسة و احترامهم إيّاها و ثقّتهم في حمل معتقداتهم و التعبير عن انفعالاتهم و عواطفهم و استخدامهم إيّاها في كل ما يعن لهم من شؤون الحياة السهلة أو القضايا الفلسفية المعقدة كما تبدو قيمتها كذلك فيما تعبر عنه من رصيد فكري و حضاري كبير»³.

و على هذا الحدّ يتضح أنّ العربية اتّهمت بقصرها في مواكبة العصر ليس الأمر و الإشكال في اللغة نفسها بل في العرب أنفسهم، الذين أهملوا هذه اللغة و احتقروها و الدليل الثاني الذي ساقه الدكتور رمضان لتكذيب هذا الإدّعاء و دحضه، إسهامته بالعربية الفصحى في العصر الاسلامي، حينما استوعبت الأفكار و المعاني التي جاءت في القرآن الكريم و الشريعة الإسلامية الغراء.

¹ - المصدر نفسه، ص167.

² - المصدر السابق، ص167.

³ - ينظر المصدر نفسه، ص172.

و الدليل الثالث، استيعاب العربية الفصحى مختلف الأفكار و النظريات العلمية و الفلسفية التي جاءت إلى الثقافة العربية في العصر العباسي عن طريق الترجمة من الثقافات الأجنبية، كالثقافة الإغريقية و الرومانية و السريانية و غيرها.

و الدليل الرابع الذي اعتمده الدكتور رمضان، يتمثل في «نجاح العربية الفصحى في تدريس الطب في سوريا في عصرنا الحاضر، دليل على قدرة العربية في استيعاب العلوم و التعبير عن مظاهر مستحدثات الحياة»¹.

أمّا الذين قدسوا العامية بحجة أنّ العامية امتداد للفصحى، و هي شكل من أشكال الفصحى و إن استخدامها لن يقطع الصلة بينها و بين الفصحى، فللدكتور رمضان رأي في الإدعاء و المسألة، حيث أنّه عدّ هذا الزعم كذبا صراحا و ضلالا لا يستند إلى دليل لغوي علمي، لأنّ اعتناق اللهجات و هجران الفصحى الأم، يؤدي إلى فنائها و موتها لا محالة بدليل انقراض اللاتينية الأم في أوربا بعد هجران الأوروبيين لها و اعتناقهم اللهجات المحلية، كالفرنسية و الإسبانية و الإيطالية، لا سيما بعد شيوع هذه اللهجات و إحلالها محل اللغة الأم بتوظيفها في الأدب و الشعر»²، و على هذا الحدّ يرى الدكتور رمضان أنّ الفصحى ليست نفسها اللهجة، بدليل أنّه في الوطن العربي لغة عربية فصحى تتخذ فيصلا للصحة و الخطأ، و في المقابل نجد الكثير من اللهجات العربية و بين الفصحى و هذه اللهجات اختلافات واضحة سواء من الناحية الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو الدلالية. و في مسألة الدعوة إلى استبدال الخط العربي بخط لاتيني بحجة أنّ الخط العربي فيه عيوب تعيق عملية التعلّم، فللدكتور رمضان عبد التواب رأي مخالف لما تبناه دعاة الاستبدال.

فهو يرى أنّ هذه المسألة حلّها يكمن في إصلاح الخط العربي اصلاحا جزئيا، أمّا هجرانه فعناه «قطع الصلة تماما بين هذا الجيل الذي يتعلّم و بين تراثنا القديم بكامله»³.

¹ - أنظر المصدر السابق، ص172.

² - أنظر المصدر السابق، ص175.

³ - المصدر نفسه، ص177.

و لتأكيد الفكرة ضرب الدكتور رمضان مثالا حيا يثبت الفكرة، و هذا المثال ما حدث للأتراك حينما نبذوا الخط العثماني واستبدلوه بالخط اللاتيني، حيث أنهم فقدوا الصلة بينهم و بين تراثهم و أصبحوا، كالمعلقين في الفضاء لا يعلم التركي في أيامنا هذه شيئا عن ماضيه الغابر، كما أصبح حائرا في انتمائه الآن، فلا هو أوربي و لا هو شرقي، و لم يفلح اختياره الخط اللاتيني في تقريبه إلى الغرب من قليل أو ن كثير¹.

فعلى حدّ تعبير الدكتور رمضان تعلق العرب بالخط اللاتيني و هجران الخط العربي سبيل للانسلاخ من الهوية و قطع الصلة بين الماضي و الحاضر، و إذا كان دعاة استبدال الخط العربي باللاتيني بحجة أنّ الخط العربي يتميز بالتعقيد في الكتابة، نقول لهم: بل العكس، اللاتينية أعقد من العربية في الكتابة، بدليل أنّ حرف الكاف يكتب في العربية بصورة واحدة و هي «ك» في حين يكتب في الفرنسية و الانجليزية بخمس صور و هي: «CH-Q-CK-K-C»، و حرف الفاء يكتب على صورتين و هما: «PH-F»، هذا من جهة، و من جهة أخرى الخط العربي يميل إلى الاختزال و حروفه تكتب بصورة واحدة عكس الفرنسية و الانجليزية اللتين تكتب بعض حروفها بصورة تتضمن حرفين، مثل: الثاء الذي يكتب بحرفين، و هما: «TH» و الضاد الذي يكتب بحرفين «dh»، و «الشين» العربي الذي يقابله في الانجليزية حرفان و هما: «SH».

الحروف المشددة في العربية تكب بحرف واحد فوّه شدة في حين في الفرنسية يكتب بحرفين، و الأمثلة كثيرة جدا، تؤكّد بأنّ الخط العربي أفضل و أيسر من الخط اللاتيني.

و الزاي في العربية له صورة واحدة في الكتابة و هو «ز» في حين في الفرنسية له صورتان، الأولى «Z» و الثانية «S» بين حركتين. حرف الياء في العربية يكتب بصورة واحدة و في الانجليزية يكتب بعدة صور و هي: «Y-E-E-IE-EI-EA-EE» و هذه الصورة لا يميّز احدهما عن الأخرى منطلق أو قواعد.

¹ - المصدر نفسه، ص178.

و على هذا الأساس، يتضح أفضلية الخط العربي عن اللاتيني، و ما يدعيه دعاة الاستبدال ما هو إلا وهم و حججهم واهية لا يعضدها دليل علمي منطقي أو واقعي، كما يرى ذلك الدكتور رمضان عبد التواب، بل و لا يخدم مستقبل الأمة العربية و تراثها اللغوي و الأدبي الذي يحكم عليه بالموت و الزوال.

*آراء الدكتور رمضان عبد التواب في ضوء علم اللغة الحديث:

لم تكن آراء الدكتور رمضان عبد التواب جافة، بل كانت آراء علمية منطقية استنتجها من خلال تأمله العميق في هذه المسائل الثلاث و بالاستناد إلى جملة من الحجج و هي:

1- الحجج التاريخية: و يظهر ذلك حينما ضرب دليلاً بالأثرak «عندما نبذوا الخط العثماني واستبدلوه بالخط اللاتيني، حيث أنهم فقدوا هويتهم و أصبحوا كالمعلقين في الفضاء تائهين»¹.

2- الحجج العلمية اللغوية: اعتماداً على النهج التقابلي، و يتضح ذلك حينما قارن بين العربية و الألمانية، و اهتدى إلى أنّ الألمانية أعقد من العربية من حيث قواعدها و قياساتها و إعرابها.

3- كما استند أيضاً إلى ما أثبتته علم اللغة الحديث و ما ذكره و تبناه كل من «فندريس» و «ماريو باي».

يظهر ذلك حينما تبني فكرة فندريس في مسألة استحالة إصلاح الخط العربي اصلاً شاملاً و استحالة نجاح استبدال الخط بخط آخر، لأنّ ذلك يؤدي إلى موت التراث أولاً و إلى قطع الصلة بين الماضي و الحاضر، يقول فندريس: «فإذا قمنا بإصلاح شامل دفعة واحدة، كنا قد استبدلناها مكان اللغة المكتوبة التي تعودنا عليها لغة كتابية أخرى جديدة، و يترتب على هذا أن نطرح وراء ظهرنا دفعة واحدة بين جميع المطبوعات التي نشرت بالفرنسية منذ قرون، و هو أمر مستحيل، هذا إلى أنّ مثل هذا العمل، يوجب على

¹ - أنظر المصدر السابق، ص 187.

جيل أو جيلين من الفرنسيين، أن يتعلموا لغتين بدلا من لغة واحدة و أن هناك من العادات و التقاليد الأدبية ما لا يستطيع المرء أن يغيّره بجرة قلم واحدة»¹.

و إذا ما قارننا بين رأي الدكتور رمضان عبد التواب و بين ما ذهب إليه فندريس في مسألة استبدال الخط، نجد توافقا و تماثلا كاملا في نظريتهما إلى المسألة.

بالإضافة إلى فندريس، نجد بأنّ الدكتور رمضان قد تبني فكرة «ماريو باي» في مسألة عدم نجاح استبدال اللغة الفصحى التي تمثل التراث و تتخذ فيصلا للصحة و الخطأ بالعامية بحكم أنّ العامية متعدّدة المستويات و متنوّعة اللهجات المحلية باختلاف المناطق التي تستخدمها، «و تجدر الإشارة إلى أنّ أصول هذه الفكرة تعود إلى شعار مدرسة ضالة أمريكية سعت إلى رفع مكانة العاميات»².

يقول ماريو باي في ردّه على شعار هذه المدرسة «شقّ الجيل الجديد من اللغويين في أمريكا عصا الطاعة على النحو التقليدي و بدأوا يدعون للمبدأ الذي ينادي بأنّ الصيغة التي يستخدمها الناس فعلا، و لكن الصيغة التي يستخدمها الناس لها مشكلاتها الخاصة بها فأية صيغ هذه؟ و من الذي يستخدمها؟ حتى في الدول التي يظهر للناس أنّها تستخدم لغة موحّدة هناك مستويات مختلفة لاستخدامها، كما تختلف اللهجات المحلية باختلاف المناطق التي تستخدمها»³.

يقول الدكتور رمضان عبد التواب: «إنّه من الغريب حقا أن يبحث الناس عن لغة أخرى غير الفصحى لتحل محلها -على زعمهم- في توحيد شعوب الأمة العربية و يرون هذه العامية أم لهم في أن تحمل لواء الأدب و تتسع لمستحدثات الحضارة، فأية عامية تلك التي يريدونها؟ أهى عامية مصر أم عامية الجزيرة العربية أم عامية المغرب أم عامية السودان؟ و في مصر مثلا: أهى عامية الصعيد أم عامية الوجه البحري، و في الوجه البحري: أهى عامية الشرقية أم المنوفية؟ إنّ هذا لهو الضلال المبين»⁴.

¹ -، فندريس، اللغة، ص413.

² - أنظر رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص174.

³ - ماريو باي، أسس علم اللغة، ص108.

⁴ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص174.

إننا إذا ما قارنا بين رأي الدكتور رمضان عبد التواب و بين ما تبناه «ماريو باي» في قضية إحلال العاميات مكان اللغة الفصحى، نجد تشابها في الرأيين، إذ كلاهما عدّ هذا العمل ضربا من الوهم و الاستحالة و لا مجال لنجاح هذا المشروع، بل إنّه سبيل لتفريق العرب في اللغة و الثقافة و ترسيم القطيعة بينهم و بين ماضيهم و تراثهم.

إننا إذا قارنا بين موقف الدكتور رمضان عبد التواب من فكرة قصر اللغة العربية على استيعاب علوم العصر و قيمة اللغة في الأمة يتوافق تماما مع ما ذهب إليه ماريو باي، الذي عدّ قيمة اللغة تظهر في تمسك أهلها بها و رواجها بينهم و تداولها على ألسنتهم و احترامهم إيّاها في حمل أفكارهم و معتقداتهم و التعبير عن انفعالاتهم و عواطفهم.

كما تظهر أيضا في قدر استخدامهم إيّاها في كل ما يعين لهم من شؤون الحياة السهلة أو القضايا الفلسفية المعقدة، كما تظهر قيمتها كذلك فيما تعبر عنه من رصيد فكري و حضاري كبير، فهذا الرأي يتوافق مع ما تبناه ماريو باي في المسألة، إذ يقول مؤكدا قدرة كل لغة على التعبير عن أية فكرة متى قامت في نفوس أصحابها ما يلي: «فهناك وجه شبه ظاهر بين اللغة و مختلف أنواع النقود التي نستعملها في البيع و الشراء، فالنقود في نظر رجال الاقتصاد، ما هي إلا رمز للقوة الشرائية، التي تمكن الانسان من تملك الشيء الذي تصبوا إليه نفسه، فإنّ القيمة الحقيقية لما في العملة من ورق و معدن، تعد شيئا تافها بالنسبة لقواتها الشرائية، فالصكوك و العملة الورقية لا تساوي في حدّ ذاتها أكثر قيمة من قيمة الورق الذي طبعت عليه، و للذهب و الفضة قيمة محدودة لأغراض الزينة، و لكنهما من الناحية العملية أقل قيمة من المعادن الأخرى، فحقيقة الأمر أنّ القيمة الحقيقية للنقود هي صفة يضيفها المجتمع الذي يتعامل بها»¹.

و بهذا الصنيع يتضح بأنّ الدكتور رمضان عبد التواب تبني فكرة ماريو باي في عدّ المجتمع الأساس في رفع قيمة اللغة بوسائل عدّة، كالاستعمال الجيد لها و الثقة فيها و تداولها.

كما أنّ الأستاذ رمضان قد تبني أيضا رأي فندريس في تمكّن اللغة و قدرتها على استيعاب الفكر و العلوم، يقول فندريس: «الواقع أنّنا لا نعلم اطلاقا لغة قد قصرت عن

¹ - ماريو باي، أسس علم اللغة، ص22.

خدمة الانسان عنده فكرة يريد التعبير عنها»¹، ثمّ يقول: «فلا ننصت إذن إلى أولئك المؤلفين المعاصرين الذين يحملون لغاتهم مسؤولية النقص الذي في مؤلفاتهم، لأنّهم هم المسؤولون على وجه العموم عن هذا النقص»².

و على هذا الأساس، نستنتج بأنّ الدكتور رمضان عبد التواب نظر إلى مسائل تجديد النحو استبدال الفصحى بالعامية واستبدال الخط العربي بالخط اللاتيني نظرة علمية استمد معالمها من علم اللغة الحديث و ممّا أشار إليه العلماء الغربيون أمثال "فندريس" و "ماريو باي".

و آراؤه هذه ليست هدمًا للعربية و الحط من قيمتها، بل تقييمها و تقويمها في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة.

¹ - المرجع نفسه، ص 421.

² - المرجع السابق، ص 421.

الفصل

الثالث:

المسائل الدلالية في كتاب «بحوث و مقالات في اللغة».

1/-موقف الدكتور رمضان عبد التواب من علاقة اللفظ و المعنى عند القدامى.

أ-آراؤه في علاقة اللفظ بالمعنى.

ب-آراؤه في علاقة اللفظ بالمعنى و علم اللغة الحديث.

2/-موقف الدكتور رمضان عبد التواب من الدلالة الصرفية عند القدامى.

أ-آراؤه في الدلالة الصرفية.

ب-آراؤه في الدلالة الصرفية و علم اللغة الحديث.

3/-موقف الدكتور رمضان عبد التواب من المعاجم العربية القديمة.

أ-آراؤه في المعاجم العربية القديمة.

ب-آراؤه في المعاجم و علم اللغة الحديث.

المسائل الدلالية:

من المسائل الدلالية التي ناقشها الأستاذ رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» ما يلي:

1- علاقة اللفظ بالمعنى:

العلاقة بين اللفظ و المعنى موضوع عريق تناوله العلماء منذ زمن بعيد، إذ لا نجد من العلماء القدامى أحدا بحث في اللغة أو البلاغة أو النقد إلا و تطرّق إلى هذا الموضوع و حاول تفسير هذه العلاقة القائمة بينهما، تفسير وقع فيه جدل حاد أسفر عن ظهور آراء و نظريات متباينة أبرزها النظرية الطبيعية التي عدّت الصلة بين اللفظ و مدلوله علاقة طبيعية تشبه علاقة الأسباب بمسبباتها، مثل الصلة بين النار و الدخان أو الاحتراق، و هذا الرأي يدلّ على أنّ هناك رابطا وثيقا بين اللفظ و مدلوله، يجعل هذا الرابط سببا للفهم و الإدراك، فلا تؤول الدلالة إلا به و لا تحضر الصورة في الذهن إلا حين النطق باللفظ. علاقة الإكتساب: أو ما يعرف بنظرية الإكتساب أو الاصطلاح، فسرت هذه العلاقة علاقة اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس، فالعرب مثلا اصطلحوا على تسمية البقرة، بقرة و البحر بحرا دون وجود علاقة بين هذه المسميات و دلالاتها.

النظرية التوقيفية: و ذهب أصحابها إلى أنّ صلة المعنى باللفظ صلة مرتجلة، و لكن طبقا لإرادة إلهية، و قدروا أنّ المعنى الأساسي للفظ لم يأت عن طريق الاصطلاح، و إنّما جاء عن طريق الإله، و عليه كانت العلاقة بين اللفظ و المعنى و قفية نشأت مع تعليم الله تعالى للإنسان الأول (آدم) عليه السلام الأسماء سواء قلنا تعلمها تلقينا أو تعلمها بأنّ الله تعالى خلق في قلبه معرفتها.

و قد نحا بعض علماء العرب هذا المنحى في القول بالعلاقة بين اللفظ و مدلوله فذكروا أنّ هناك صلة خفية بين الألفاظ و مدلولها، فهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي و تلميذه سيبويه الذي روى عن أستاذه الخليل أنّ العرب قالوا في الدلالة على صوت الجندب "صر" لأنّ في صوته امتدادا و استطالة، أمّا البازي فدلّت العرب على صوته بالفعل «صرصر» لأنّ فيه تقطيعا و عدم استمرار، قال الخليل «كأنهم توهّموا في صوت

الجندب استطالة و مدا، فقالوا: صر و توهما في صوت البازي تقطيعا، فقالوا صرصر»¹.

و منهم ابن جني، الذي كان يقول في كتابه الخصائص بوجود تلك العلاقة الطبيعية بين الدال و المدلول، إذ خصص في هذا الكتاب بابين لهذا المبحث، و هما باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني و باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، و لقد أدرك ابن جني بعبقريته دور الأصوات في تحديد الدلالات، ناهيك عن دور الابدال الصوتي في تغيير معاني الكلمات، و إن كان ابن جني لم يشر إلى ذلك بصريح العبارة، إلا أن في كلامه ما يوحي إلى ذلك، يقول في خصائصه «فأما مقابلة الأصوات بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع و نهج ملتب عند عارفيه مأموم، و ذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعد لونها بها و يحتذونها عليها و ذلك أكثر مما نقدره و إضعاف ما نستشعره»²، و من ذلك قولهم: خضم و قضم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ و ما كان نحوه من المأكول الرطب و القضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها، فاختراروا الخاء لرخاوتها للرطب و القاف لصلابتها للصلب اليابس، و هنا ربط بين مسموع الأصوات و محسوس الأحداث.

و من ذلك قولهم: «النضح للماء و نحوه و النضخ أقوى من النضح، فجعلوا الحاء لرققتها للماء الضعيف و الخاء لغلظها لما هو أقوى منه»³.

فالحاء لرققتها جعلت من الفعل «نضح» يدل على شرب السائل في تأن و بطف، و الخاء لغلظها جعلت من الفعل «نضخ» يدل على فوران السائل في قوة و عنف.

و يعزّز ابن جني رأيه هذا بقوله: «و من ذلك القدّ طولاً و القط عرضاً و ذلك أنّ الفاء أحصر للصوت و أسرع قطعاً له من الدال فجعلوا الطاء المناجرة لقطع العرض لقربه و سرعته و الدال المماثلة لما طال من الأثر و هو قطعه طولاً»⁴.

¹ - ابن جني، الخصائص، ج2، ص157.

² - المصدر نفسه، ص158.

³ - المصدر نفسه، ص58.

⁴ - المصدر نفسه، ص58.

و من الأمثلة الأخرى التي قوى بها ابن جني رأيه في مناسبة الصوت للمعنى ما ذكره عن المصادر الرباعية المضعفة التي تأتي و تدل على تكرير الفعل كالزراعة و القفلة و الجرجرة و الصلصلة و ما إلى ذلك، فإنّ تكرير المقاطع هنا مناسب لتكرير الفعل¹، هذا إلى جانب عدّه الضغط و النبر على وسط عين الفعل و الشدة فيه يدل على الشدة و يدل على المبالغة، مثل: «كسّر» و «قطع» و «غلق» و غير ذلك².

رأي الدكتور رمضان عبد التواب في مسألة علاقة اللفظ بالمعنى:

لقد تطرّق الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» إلى مسألة العلاقة بين اللفظ و المعنى و تناول المسألة بالوصف و التحليل و النقد القائم على المنطق فبعد أن استعرض ما قاله علماء اللغة العرب القدامى في المسألة، أمثال الخليل و تلميذه سيبويه و بعدهما السميري و ابن جني في القضية، خاض الغمار في إبداء آرائه و التي كانت كما يلي:

1- شك في صحة الرواية التي وردت عن عباد بن سليمان السميري المعتزلي الذي اعتقد أنّ العلاقة بين اللفظ و المعنى علاقة حتمية، و قد عقب على هذه الرواية بحجة واقعية قائلاً: «لو صحّ ما قاله لاهتدى كل انسان إلى كل لغة على وجه الأرض»³.

و قد ردّ معرفة معاني الألفاظ من قبل المستمع إلى الحدس و عن طريق القياس أي قياس كلمة على كلمة أخرى لها نفس الصيغة و الوزن، و قد ضرب مثلاً يؤكد ما ذهب إليه، قال: «و خذ مثلاً كلمة "عتيد" فإنك إذا ذكرتها أمام من لا يعرف معناها الأصلي و هو حاضر، معد، مهياً، فهو لا شك سيقيسها على كلمة جبار إن كانت في حصيلته فيعطيها نفس معناها و هو "جبار" أو قوي مثلاً أو يقيسها على كلمة "عتيق" إن برزت له وقتنذ من خبراته اللغوية السابقة فيعطيها نفس معناها و هو قديم، أو موغل في القدم»⁴.

لكن الحقيقة اللغوية تؤكّد أنّ معرفة معاني الألفاظ عن طريق القياس ليست مسألة مطردة و صالحة في جميع الحالات بحجة أنّ القياس غالباً ما يؤدي إلى الخطأ من تماثل

¹ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص20.

² - المصدر نفسه، ص20.

³ - المصدر نفسه، ص18.

⁴ - المصدر نفسه، ص18.

صيغ الألفاظ في اللغة و من جهة ثانية أكد الدكتور رمضان بأنّ هذه المعرفة لمعاني الألفاظ تتحكّم فيها المعرفة الجادة للألفاظ و الخبرة الجيدة عن طريق الممارسة الدائمة لسماع و نطق هذه الألفاظ، أو بالأحرى عن طريق العادة الكلامية، يقول: «نعم قد كدس الانسان معنى كلمة من الكلمات في لغة من اللغات بخبراته في هذه اللغة، فإنّ مجرد النطق باللفظ يستدعي إلى الذهن أمثاله من الألفاظ و يستدعي معها دلالاتها و يستوحي المرء من كل هذه الأدلة لذلك اللفظ المجهول على أساس ما اختزنه في حافظته و قد يوفق في هذا الاستحياء غير أنّه كثيرا ما يخيب و هنا يؤدّي اختلاف الخبرات السابقة إلى اختلاف الحدسات الناتجة»¹.

وانطلاقا ممّا عرضه الدكتور أكد بأنّ مسألة المناسبة بين اللفظ و المعنى ليست قاعدة دلالية مطردة مع جميع ألفاظ اللغة، و توجد الكثير من الألفاظ الشاذة لا تنطبق عليها القاعدة، و منه يقول «و إذا صدق هذا على بعض الأمثلة في اللغة، فإنّه لا يصح أن يغيب على بالنا، أنه ليس ثمة بين الاصطلاح اللغوي و الشيء الذي وضع له هذا الاصطلاح»².

من خلال ما سبق، يتّضح بأنّ الدكتور رمضان اهتدى إلى أنّ العلاقة بين اللفظ و المعنى علاقة اعتباطية و لا وجود للصلة بين الألفاظ و معانيها، و لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد نعمّمه على جميع الألفاظ، و ما ذهب إليه رمضان عبد التواب في هذه المسألة تبناه أيضا الدكتور عبده الراجحي الذي ينكر وجود مناسبة بين الألفاظ و معانيها فيقول: «غير أنّ اقتناع ابن جني بهذا الرأي و إعجاب الدكتور صبحي الصالح به لا يمنع من التأكيد على أنّ أهل اللغة بوجه عام يطبقون رفضه و يرون أنه ليس هناك مناسبة بين اللفظ و مدلوله، و ليست هناك علاقة بين الرمز و الشيء الذي يرمز إليه»³.

هذا إلى جانب الدكتور تمام حسان، الذي تنكّر هو الآخر للمناسبة بين اللفظ و المعنى قائلاً: «و ليس في الفكر ما يفرض شكلا معيّنا للرموز الصوتي، فهذه الرموز

1 - المصدر السابق، ص19.

2 - المصدر نفسه، ص22.

3 - عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص30.

موضوعة وضعا اعتباطيا، فالعلاقة بين الكلمات و معانيها علاقة عرفية محدّدة بالاستعمال و مدونة في المعجم»¹.

أمّا الدكتور ابراهيم أنيس فقد تعرّض للاختلاف في معالجة هذه الصلة بين الطبيعيين و العرفيين في التراث اليوناني و التراث العربي، و لما نجده في هذا الأخير من اهتمام كثير من اللغويين العرب بالربط بين الألفاظ و مدلولاتها ربطا وثيقا، رغم أنّ معظمه لا يأخذ بالرأي القائل بوجود صلة طبيعية أو ذاتية بين الألفاظ و مدلولاتها»².

و يقول ابراهيم أنيس: «و الأمر الذي لم يبد واضحا في علاج كل هؤلاء الباحثين و هو وجوب التفريق بين الصلة الطبيعية الذاتية و الصلة المكتسبة، ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلاحظ تلك الصلة بينهما و بين دلالاتها، لكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها، و إنّما اكتسبتها اكتسابا بمرور الأيام و كثرة التداول»³.

فهؤلاء نفوا وجود علاقة مناسبة الألفاظ لمعانيها، و القضية ليست خاضعة لقاعدة مطردة، و ما هذه العلاقة إلا اعتباطية، و ما هو موجود في الواقع اللغوي كان مكتسبا و بالاستعمال و كثرة التداول و عن طريق الخبرات السابقة.

*آراء الدكتور رمضان عبد التواب الدلالية و علم اللغة الحديث:

لقد تتكرّر الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة» لوجود علاقة حتمية بين الدال و المدلول أو بين الألفاظ و معانيها، و أكد بأنّ هذه العلاقة قاعدة نسبية و ليست مطردة تطبّق على جميع ألفاظ اللغة، ثمّ أنّ العلاقة بين الألفاظ و الدلالة اعتباطية و لا تخضع لمنطق أو نظام عام.

و ما تبنّاه الدكتور رمضان عبد التواب في هذا المقام و في هذه المسألة يؤكّده علم اللغة الحديث، و هو ما تبنّاه علماء اللغة الغربيون حديثا، و منهم دوسوسير رائد الدراسة البنيوية الحديثة، فهو الآخر ينفي هذه العلاقة الطبيعية و يعارض الذين اعتقدوا وجود صلة بين الألفاظ و الدلالات و يراها أيضا علاقة اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام

¹ - تمام حسان، اللغة العربية و معناها و مبناها، ص40.

² - ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص80.

³ - المرجع نفسه، ص82.

مطرد، و يقرّر أنّ ما هو موجود على أرض الواقع من تناسب الألفاظ للدلالات من القلة يقول: «إنّ الرابط بين الدال و المدلول هو اعتباطي، و ببساطة أكثر يمكن القول أيضا: إنّ العلامة الألسنية اعتباطية و ذلك لتعريفنا العلامة على أنّها مجموع ما ينجم عن ترابط الدال بالمدلول»¹.

و يضيف قائلا: «و هكذا ففكرة «أخت» لا تربط بأيّ صلة داخلية مع تعاقب الأصوات (أ-خ-ت) تلك التي تقوم مقام الدال بالنسبة لها، و يمكن تمثيل هذا الأخير بأيّ تعاقب أيّا يكن شكله، و حجتنا في ذلك إنّما هي الاختلافات القائمة بين اللغات و وجود اللغات المختلفة ذاته، إنّ المدلول «BeouF» أي ثور دالا b.o.F في هذا الجانب من الحدود»².

من خلال هذين القولين نستنتج أنّ دوسوسير يرفض وجود أيّة علاقة بين الألفاظ و الدلالات، و يرفض أيضا الدلالة الصوتية لأصوات الكلمات و دلالاتها، فعلى حدّ تعبيره لا توجد أيّة علاقة بين لفظ أخت و ما يؤدّيه من معنى، و لا علاقة أيضا بين الحروف المشكلة لكلمة «أخت» و دلالاتها، «و الكلمة اعتباطية بالقياس إلى المدلول الذي يربط بينهما، و في الواقع لا وجود لأيّة رابطة طبيعية بينهما»³.

و فيما يخص وجود في اللغة بعض الألفاظ التي تناسبت مع معانيها، فقد أرجعها سيوييه إلى العادة و الاستعمال الدائم للغة و بتوظيف المرجعية اللغوية أولا و إلى الاتفاق بين الأفراد ثانيا: «و في الواقع أنّ كل وسيلة تعبير تسود في مجتمع ما، إنّما تنهض مبدئيا على عادة جماعة أو على اتفاق»⁴.

و من الذين نفوا العلاقة بين اللفظ و المعنى من الغربيين أيضا "ستيفن ألمان"، الذي أكّد عدم وجود علاقة طبيعية أو ذاتية بين اللفظ و معناه، واستدل بقول على لسان شكسبير

¹ - دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص ص، 89، 90.

² - المرجع نفسه، ص 90.

³ - المرجع نفسه، ص 91.

⁴ - المرجع نفسه، ص 90.

«ماذا في اللفظ؟ إن نسميه وردة سوف تحتفظ برائحته الزكية فيها و لو سميناه باسم آخر»¹.

هذا إلى جانب اللغوي جسبريس Jesperesse الذي يرى علاقة الدال بالمدلول ليست مطردة في لغة من اللغات، و أنّ بعض الكلمات تفقد هذه الصلة على مرّ الأيام، انطلاقاً من مبدأ التطور.²

إنّنا إذا قارنا بين ما ذهب إليه علماء اللغة الغربيون و ما تبناه الدكتور رمضان عبد التوّاب في موضوع علاقة اللفظ بالمعنى تتضح قواسم مشتركة بينهما، و هذه القواسم تتلخّص فيما يلي:

- 1- اتفاق في رفض فكرة تناسب الألفاظ مع دلالاتها.
 - 2- اتفاق في نفي قاعدة الإطراد في مناسبة الألفاظ لمعانيها في اللغات.
 - 3- الاتفاق في تفسير وجود كلمات متناسبة مع معانيها في اللغة يرجع إلى الممارسة و الاتفاق و المرجعية اللغوية للمستمع.
 - 4- الاتفاق في عدم ثبات مناسبة الألفاظ لمعانيها بحكم أنّ اللغة قابلة للتطور.
- و من خلال ما سبق، نستنتج أنّ الدكتور رمضان عبد التوّاب انطلق في دراسته للغة العربية انطلاقاً علمية استمد أسسها من علم اللغة الحديث.
- و ما تبناه رمضان عبد التوّاب في نظرنا حقيقة يؤكدها الواقع اللغوي المعيش و العلاقة بين اللفظ و المعنى نسبية ليست قاعدة مطردة لا يمكن تعميمها على جميع الألفاظ في اللغة و لا في جميع اللغات، ثم إنّ هذه المناسبة تحتاج إلى اتفاق بين الجماعة اللغوية و تستلزم معرفة عميقة للغة و مرجعية لغوية قوية، و أنّ هذه الظاهرة مؤقتة و ليست أبدية بحكم أنّ اللغة كائن حي تنمو و تتطور من زواياها المختلفة صوتياً و تركيبياً و صرفياً و نحويًا و دلاليًا.
- و من خلال ما تقدّم، نستنتج أنّ الدكتور رمضان عبد التوّاب، انتقد ظاهرة القياس الدلالي و رفض فكرة مناسبة الأصوات لمعانيها، و أنّه متأثر بعلماء اللغة الغربيين الذين

¹ - سالم سليمان الخمّاش، المعجم و الدلالة، ص20.

² - المرجع نفسه، ص22.

رفضوا هذه القاعدة و طالبوا بدراسة اللغة في ذاتها و من أجل ذاتها في إطار الوصف الدقيق لما هو كائن.

و من هذا المنطلق، يتضح بأن الدكتور رمضان يلحّ على وجوب إعادة النظر فيما تركه القدامى من تراث دلالي لإنصاف العربية و دراستها دراسة وصفية و من ثمة تتقيتها من الأوهام القياسية التي أصقت بها من قبل اللغويين القدامى.

2/- الدلالة الصرفية:

قبل أن نستعرض و نوضّح آراء الدكتور رمضان عبد التواب في الدلالة الصرفية و ما تؤديه الأبنية في تغيير المعاني و الدلالات، لنا أن نوضح مجموعة من المسائل و هي: مفهوم الصرف، مفهوم الدلالة الصرفية، و نظرة القدامى إلى علاقة الأبنية بالمعاني.

فالمقصود بالصرف هو العلم بأحكام بنية الكلمة بما لحروفها من أصالة و زيادة و صحة و إعلال و شبه ذلك¹، «أو هو العلم الذي يبحث في التغيرات التي تطرأ على أبنية الكلمات و صورها المختلفة من الداخل»².

فعلم الصرف إذا هو العلم الذي يبحث في أبنية الكلمات، فيوضّح حروفها الأصلية و ما حدث فيها من زيادات أو نقصان في الحروف و أبنيتها و صورها. أمّا الدلالة الصرفية، فتتمثل فيما تؤديه هذه الزيادات الصرفية من معان مضاف إليها معنى الجذر المعجمي، فإذا أخذنا على سبيل المثال الجذر (ط، ح، ن) الذي يدل على عملية ضغط تحوّل بواسطتها الحبوب إلى مسحوق ناعم، نجد أنّ هناك أبنية صرفية كثيرة تضيف دلالات أخرى مكتسبة من الوزن نفسه، مثل: طحن، يطحن، أطحن، مطحون طاحونة، ... الخ»³.

¹ - أنظر ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص 47.

² - عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو و الصرف، ص 8.

³ - أنظر فايز الداية، علم الدلالة العربي بين النظرية و التطبيق، ص ص، 20، 21.

و الذي يحدّد معنى هذه الأبنية الصرفية هو الزوائد التي تلحقها، فالذي يحدّد أن «يطحن» فعل مسند إلى المفرد الغائب هو حرف الياء الزائد، و كذلك سائر الأبنية التي تلحقها هذه الزوائد المختلفة.

«و هكذا نجد أنّ الكلمة تشتمل على ثلاثة عناصر أساسية و هي:

- 1-المادة الأصلية و هي تتكوّن من ثلاثة حروف في العربية، ثل: (ض-ر-ب) بالنسبة لكلمة (ضرب) و هي ترمز في نفس الوقت للدلالة الأصلية للمادة.
- 2-الصيغة التي ركبت عليها تلك المادة الأصلية و هي قالب الذي نصبت فيه الكلمة و الذي يعطيه في النهاية الشكل أو الوزن أو الدلالة الوظيفية للكلمة.
- 3-و من وجود العنصرين السابقين معا إلى العنصر الأخير هو معنى الكلمة أو دلالتها المعجمية أو الاجتماعية».

هذا بالإضافة إلى السوابق و اللواحق التي تحدّد دلالة الكلمات، فلكي نعرف معنى كلمة استغفر لا نكتفي فقط بمعنى الجذر -غفر- و إنّما لا بدّ من ضمّ إليها الألف و السين و التاء لتدل على الطلب، و إذا أخذنا كلمة مرّض في جملة مرّض الطبيب الرجل، موظفا معنى الجذر -مرض- مضافا إليه دلالة هذه الصيغة التي تفيد القيام على المرض في هذا المقام، و لو قيل محلب بكسر الميم، لكان المعنى المتعيّن من هذا اللفظ هو دلالة (حلب) مضافا إليها دلالة هذه الصيغة الصرفية التي تدل على القدح الذي يحلب فيه، و إذا تغيّرت الصيغة من محلب بالكسر إلى محلب بالفتح فإنّ دلالاته المكان الذي يحلب فيه»¹.

و هكذا فإنّ اللواحق و السوابق التي تضاف إلى الكلمة الأصلية تغير من القوالب و الأبنية الصرفية و تؤدي إلى معان تضاف إلى المعنى الأصلي للكلمة.

نظرا لأهمية البنية الصرفية في دلالات الألفاظ، فإنّ علماء اللغة العرب خصّصوا لها أبوابا في مؤلفاتهم و درسوها بإسهاب و تفصيل، فهذا ابن جني خصّص في كتابه الخصائص بابا سمّاه «باب في الدلالة اللفظية و الصناعية»، و قال فيه: «أعلم أنّ كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعي مؤثر، إلا أنّ في القوة و الضعف على ثلاثة مراتب

¹ - أنظر مهدي أسعد عرار، جدول اللفظ و المعنى، دراسة دلالية في الكلمة العربية، ص29.

الدلالة اللفظية، ثم تليها الدلالة الصناعية ثم تليها الدلالة المعنوية»¹، هذا إلى جانب باب آخر في خصائصه سمّاه «إمساس الألفاظ أشباه المعاني»².

و فيه وضع الألفاظ على صورة مناسبة لمعناها و ذكر أنّ المصادر الرباعية المضعّقة تأتي لتكرير الحدث نحو: الزعزعة و القرقرة و الصرصرة و الققلقة و غيرها و إن لم يكن لهذا صلة ما بالبنية الصوتية للكلمة»³، و تكرير المقاطع مناسب لتكرير الفعل و حدوثه مرات عديدة.

و لقد ذكر ابن جني أيضا أن توالي الحركات في المصادر و الصفات التي تأتي على وزن «فعلى»، مثل: «الجمري لعمار الوحش و البشكى و الحيدي»، من صفات السريع، لأنه يرى أنّ هذه الحركة المتوالية في هذا الوزن من أوزان الكلمات العربية تتناسب مع سرعة الحركة في الحمار الوحشي و صفات المشي المذكورة.

«و تجدر الإشارة إلى أنّ ما أسماه ابن جني دلالة لفظية يقصد به أصوات الكلمة الأصول أو الجذر و قوله: دلالة صناعية معناه الدلالة الصرفية و التي تستفاد من صيغة الكلمة، و ما اصطلح عليه بالدلالة المعنوية و هي التي تنتقل منها من معنى الكلمة إلى معان أخرى»⁴، مثال ذلك ما يلي:

«الفعل ضرب: دلالاته اللفظية هي دلالة الأصوات: ض، ر، ب، و دلالاته الصناعية صيغة فعل في الفعل و زمنه الماضي و دلالاته المعنوية هي دلالة الضرب دلالة الفاعل و المفعول به و أداة الضرب، و كلمة (مرفأة) دلالاته اللفظية هي دلالة الأصوات: ر، ف، ي، على العلو و الصعود، دلالاته الصناعية هي دلالة صيغة مفعلة على أداة منقولة (سلم) و مرفأة على أداة ثابتة (د، ر، ج) و دلالاته المعنوية دلالة الرقي على الفاعل و وجود مكان عال يحتاج إلى آله للصعود»⁵.

¹ - ابن جني، الخصائص، ج3، ص98.

² - المصدر نفسه، ج2، ص153.

³ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص20.

⁴ - أنظر سالم سليمان الخماش، المعجم و الدلالة، ص18.

⁵ - أنظر المرجع نفسه، ص18.

وابن جني يرى أيضا «بأنّ تضعيف عين الفعل يدل على الشدة و المبالغة و القوة في مثل كسرّ و فتح و غلق»¹.

فهذه الأبنية الصرفية و هذه القوالب لها دور بارز و وظيفة في تغيير دلالات الكلمات قياسا إلى الكلمة الأصلية أو الجذر.

و من الذين أكدوا دور الزيادات الصرفية في ميلاد دلالات جديدة «ابن الأثير» الذي آمن بالقاعدة الدلالية القياسية «كل زيادة في المبنى تؤدي إلى الزيادة في المعنى» و قد ضرب أمثلة حيّة تؤكد النظرية، حيث يقول: «و من ذلك خشن، واخشوشن» فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين و زيادة الواو، كما تحجّج أيضا بالفعلين «قدر» و «اقتدر»، حيث عد «اقتدر أقوى من قدر المجردة من التاء»²، و قد عدّ القدامى الألف و السين و التاء دالة على الطلب حين دخولها على الفعل نحو: غفر استغفر، فالفعل عفر يدل على وقوع المغفرة في الماضي، بينما استغفر يدل على طلب المغفرة، و دلالة فهم واستفهم، فالأول يدل على وقوع حدث الفهم في الماضي و الثاني استفهم يدل على طلب الفهم»³.

موقف الدكتور رمضان عبد التواب من الدلالة الصرفية:

لقد رفض الدكتور رمضان عبد التواب القاعدة القياسية القائلة «كل زيادة في المبنى تؤدي إلى الزيادة في المعنى، و في نظره هذه القاعدة القياسية القائلة «كل زيادة في مطردة و لا يمكن تعميمها على جميع ألفاظ اللغة، ثمّ نصح بعدم الانسياق وراء هذه الفكرة، يقول: « و لذلك لا يجب أن ننساق وراء الفكرة التي تقول: كل زيادة في المبنى تؤدي إلى الزيادة في المعنى، و نعمّمها على كل مثال وجدت فيه هذه الظاهرة»⁴.

و قد عزّز رمضان عبد التواب ما ذهب إليه بأمثلة حيّة تؤكد صحّة ما تبنّاه، فهو يرى أنّ كل زيادة في المبنى تؤدي إلى الزيادة في المعنى في ألفاظ معينة كما في الفعلين:

¹ - أنظر رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص20.

² - أنظر المصدر السابق، ص22.

³ - أنظر خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص92.

⁴ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص22.

غلق، و أغلق، فالفعل غلق فيه إحساس بصوت المزليج و هي تحكم رتاج الباب، في حين الفعل أغلق يدل على مجرد الإغلاق»¹.

و لكنه ينفي هذه القاعدة مع أفعال أخرى كما هو الشأن في الفعلين: بدأ يبدأ و أبدأ بيديء، فهذان الفعلان لهما معنى واحد بدليل وجود آيات قرآنية فيها نوعان من الفعل لكن المعنى بقي واحدا دون زيادة، و هذا ما نجده في قوله تعالى: «قل سيروا في الأرض وانظروا كيف بدأ الخلق»²، و قوله عزّ و جلّ: «أولم يروا كيف بيديء الله الخلق»³.

و على هذا الحد، يتضح أنّ الدكتور رمضان عبد التواب كذب و نفى إطراد القاعدة القياسية التي قالها القدامى: كل زيادة في المبنى تؤدي إلى الزيادة في المعنى.

و في نظرنا أنّ ما ذهب إليه الدكتور رمضان صحيح و واقع لأنّ الحقيقة اللغوية تؤكد أنّ هذه القاعدة ليست مطردة مع جميع ألفاظ اللغة، فكثيرا ما نجد ألفاظا تختلف من حيث الأبنية و الصيغ الصرفية، لكن معناها بقي ثابتا، ففي العربية مثلا نجد مجيء صيغتي (فعل و أفعل) بمعنى واحد، و الدليل على ذلك، قولهم: مخضته النصح، و أمخضته النصح، فالفعلان: مخضته و أمخضته لهما معنى واحد رغم أنّ صيغتيهما -فعل و أفعل- و قول العرب: سلكته و أسلكته، و في القرآن الكريم، قال تعالى: «ما سللكم في سقر»⁴ و في الشعر، قول الشاعر عبد مناف الحربي الهذلي:

حتى إذا أسلكوهم في قتائده
شلا كما تطرد الجمالة الشرادا⁵

من هذه الأمثلة يتضح أنّ «سلك» و «أسلك» لهما معنى واحد على الرغم من اختلاف البنية الصرفية.

و إذا كان القدامى قد ظنّوا بأنّ «الألف» و «السين» و «التاء» مع الأفعال تدل على الطلب، فهذه القاعدة القياسية ليست مطردة و لا يمكن تعميمها على جميع الأفعال، إذ أنّنا نجد هذه الظاهرة صحيحة مع الفعل: فهم- استفهم، بمعنى طلب الفهم، و غفر- استغفر

¹ - أنظر المصدر نفسه، ص20.

² - سورة العنكبوت، الآية 20.

³ - سورة العنكبوت، الآية 19.

⁴ - سورة المدثر، الآية 42.

⁵ - مهدي اسعد عرار، جدل اللفظ و المعنى، دراسة دلالية في الكلمة العربية، ص26.

بمعنى طلب المغفرة، لكن لا تصلح هذه القاعدة مع الفعل: خرج-استخرج، كقولنا: استخرج فلان الماء من البئر، فهل معنى استخرج طلب من الماء الخروج، و كلمة استتوق كقول طرفة بن العبد: استتوق الجمل، هل الجمل طلب أن يكون ناقة؟ و قولهم: استرجلت المرأة، هل المرأة طلبت أن تكون رجلا؟ فهذه الزوائد مع الأفعال الأخيرة لم تدل على الطلب و لم تشر إليه على الإطلاق.

و من هنا و من خلال ما تقدّم، نستنتج أنّ القاعدة القياسية الدلالية «كل زيادة في المبنى تؤدي إلى الزيادة في المعنى ليست مطردة مع جميع الأفعال في العربية، و من هذا المنطلق يتضح أنّ الدكتور رمضان عبد التواب صائب فيما ذهب إليه، و ما تبناه من رأي في هذه المسألة يؤكده الواقع اللغوي».

و من اللغويين العرب المحدثين الذين عارضوا فكرة إطراد زيادة المبنى و أثره في زيادة المعنى، أو بالأحرى نفوا علاقة المبنى بالمعنى ما يلي:

1-الدكتور تمام حسان: حيث أنّه تبنى نظرية دي سوسير بالنسبة إلى العلاقات اللغوية للتفكير و عقب عليها بقوله: «و ليس في الفكر ما يفرض شكلا معيّنًا للرموز الصوتية فهذه الرموز موضوعة وضعا اعتباطيا، فالعلاقة بين الكلمات و معانيها علاقة عرفية محددة بالاستعمال و مدوّنة في المعجم»¹.

2-عبد الرّاجحي: حيث أنه ينكر مناسبة بين الألفاظ و معانيها، فيقول: «غير أنّ اقتناع ابن جني بهذا الرأي و إعجاب الدكتور صبحي الصالح به لا يمنع من التأكيد على أن أهل اللغة بوجه عام يطبقون على رفضه و يرون أنّه ليس هناك مناسبة بين اللفظ و مدلوله و ليس هناك علاقة بين الرمز و الشيء الذي يرمز إليه»².

3-الدكتور ابراهيم أنيس: نفي هو الآخر علاقة الأبنية بالدلالات، يقول: «ففي كثير من ألفاظ كل لغة نلاحظ تلك الصلة بينها و بين دلالاتها، و لكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ و تولد معها بمولدها و أنها اكتسبتها بمرور الأيام و كثرة التداول».

¹ - تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص80

² - عبد الرّاجحي، فصول في علم اللغة، ص70

-أما بالنسبة لعلماء اللغة الغربيين ففيهم الكثير ممن رفض هذه العلاقة المطردة، و جعلها قاعدة نسبية تختص بمجموعة قليلة من ألفاظ اللغة.

و من هؤلاء: «جسبرسن Jespersen الذي يرى أنّ هذه الظاهرة ليست عامة مطردة».

هذا إلى جانب «ستيفنس ألمان هو الآخر الذي عدّ هذه الظاهرة علاقة نسبية»، كما أشار إلى ذلك الدكتور ابراهيم أنيس.¹

و يعدّ دوسوسير من أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ و معانيها إذ يراها اعتباطية و لا تخضع هذه الظاهرة لقاعدة مطردة، بل قد نجدها في ألفاظ قليلة فقط.²

إنّا إذا ما وازنا بين ما تبناه علماء اللغة الغربيون في قضية علاقة اللفظ بالمعنى و علاقة الأبنية بالدلالة و بين ما تبناه الدكتور رمضان عبد التواب في المسألة نجد توافقا في عدّة نقاط بينهما، ف كلا الفريقين عدّا ظاهرة علاقة الأبنية بالدلالات نسبية و ليست خاضعة لقاعدة قياسية مطردة.

-هذه العلاقة نجدها في ألفاظ لغوية قليلة و بالتالي لا يمكن تعميمها على جميع ألفاظ اللغة.

-و من هذا المنطلق، نستنتج بأنّ الدكتور رمضان عبد التواب، قد تأثر بعلماء اللغة الغربيين، خاصة منهم الوصفيين و البنيويين، و من ثمة يدعو بطريقة غير مباشرة إلى تطبيق المنهج الوصفي على العربية أولا و إعادة النظر في التراث اللغوي العربي و دراسته دراسة وصفية دقيقة، و بالتالي تنقيته من مختلف الهفوات و الأوهام التي وقع فيها القدامى.

و نستنتج أيضا بأنّ ما تبناه الدكتور رمضان حقيقة و واقع يثبته درس اللساني الوصفي الحديث.

¹ - ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص71.

² - أنظر دوسوسير، محاضرات في الأسنة العامة، ص81.

3- المستوى المعجمي:

بالإضافة إلى موضوعي علاقة اللفظ بالمعنى و الدلالة الصرفية اللذين عالجهما الدكتور رمضان عبد التواب في كتابة «بحوث و مقالات في اللغة» فقد تناول موضوعا آخر له علاقة بالمستوى الدلالي، إنه موضوع المعاجم العربية القديمة، حيث أنه تناولها بالدراسة و النقد و بيّن مواطن الضعف فيها ثمّ عرض مواقفه و آراءه إزاءها. و قبل أن نوضّح هذه المواطن و هذه الآراء بالتفصيل، لنا أن نوضّح مجموعة من القضايا تتعلق بالمعجم، و هذه الأخيرة هي:

1- مفهوم المعجم لغة واصطلاحاً.

2- أهمية المعاجم.

3- دواعي تأليف العرب للمعاجم.

4- جهود اللغويين العرب القدامى في الحقل المعجمي و أشهر المدارس المعجمية عندهم.

* المعجم في اللغة:

العجم - و العجم: خلاف العرب و العرب.

و الأعجم الذي لا يفصح و لا يبيّن كلامه، و العجم الابهام و الخفاء و عدم الافصاح.

و عجمت الكتاب: أبهمته، و من ذلك قولهم: رجل أعجم و امرأة عجماء، إذا كانا لا يفصحان و لا يبيّنان كلامهما و سميت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم، و بلاد العجم سماها العرب لذلك، لأنّ لغتها غير واضحة لهم و لا يفهمونها¹.

فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل عجم ليصير «أعجم»، أخذنا الفعل معنى جديداً من معنى الهمزة الذي يفيد هنا السلب و الإزالة و النفي: ففي اللغة اشتكيت زيدا: أزلت عنه شكايته و فيما أقذيت عين فلان، إذا أزلت ما بها من قذى و مثلها، شفى، عضى، عالج و أشقى بمعنى أنعب، و وعد و أوعد، و بهذا يصير معنى أعجم، أزال العجمة أو

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجم)، ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص40.

الغموض أو الإبهام و من هنا جاء لفظ المعجم، بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات اللغة و يشرحها و يوضح معناها و يربطها بشكل معيّن.

«و كلمة "معجم" إما أن تكون اسم مفعول من الفعل أعجم، و إما أن تكون مصدرا ميميا من نفس الفعل و يكون معناها إزالة العجمة و الغموض»¹.

- مفهوم المعجم اصطلاحا:

المعجم في الاصطلاح: كتاب يضمّ أكبر عدد ممكن من كلمات اللغة مقرونة بشروحها و تفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا، إما على حروف الهجاء، و إما على الموضوعات ... الخ.

«أو هو كتاب يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها و طريقة نطقها و شواهد تبيّن مواضع استعمالها»².

- و يسمى المعجم أيضا باسم آخر و هو القاموس و عند المتأخرين «المعجم مرادف للقاموس و قد أقرّ مجمّع اللغة العربية بالقاهرة هذا الاستخدام، فصار كل معجم قاموسا و كل قاموس معجما»³.

- أهمية المعجم: للمعجم اللغوي عدّة وظائف نلخصها فيما يلي:

- 1- يحفظ اللغة عن الضياع و الاندثار.
- 2- يحافظ على الألفاظ من حيث الأصوات و البنية و الدلالة.
- 3- ينظّم المفردات و شروحاتها تبعا لنوع الميدان أو الحقل أو التخصص.
- 4- يسهّل على الباحثين عملية البحث عن الكلمة و معانيها و استعمالاتها بأيسر طريقة.
- 5- يسهّل عملية مقابلة المفردات بما يقابلها من المفردات الأصلية.
- 6- يحافظ على أصالة الألفاظ اللغوية.

نتيجة لهذه الأهمية اهتم العرب بالمعاجم و حركة التأليف المعجمي قديما، بهدف حراسة القرآن الكريم من أيّ خطأ في النطق أو الفهم، خاصة و أنّ القرآن الكريم وردت

¹ - أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص52.

² - أنظر رجب عبد الجواد ابراهيم، دراسات في الدلالة و المعجم، ص142.

³ - أنظر محمد علي عبد الكريم الرديني، المعجمات العربية، دراسة منهجية، ص12.

فيه ألفاظ عدّها اللغويون من الغريب و النوارد، و المؤرخون يسوقون رواية تؤكّد ذلك فقد سئل أبو بكر رضي الله عنه عن قوله «و فاكهة و أبا»، فقال: أيّ سماء تضلني و أيّ أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، و روي أنّ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قرأ: «و فاكهة و أبا»، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لهو الكلف يا عمر، و لذلك كانوا يستعينون بالشعر لبيان معاني ألفاظ القرآن الكريم، فيقول ابن عباس: «إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن، فارجعوا فيه إلى الشعر فإنّه ديوان العرب»¹.

-**محاربة اللحن:** و قد أخطأ أحد المتحدثين أمام الرسول (ص) في اللغة فقال لمن حضر: «أرشدوا أحاكم فإنه قد ضل»، و هنا اعتبر الرسول الكريم اللحن في اللغة أو الخطأ شيئاً من الضلال و البعد عن الهداية و الرشاد.

-**السبب الثالث ثقافي** «و مردّه إلى أنّه بعد أن انكب الرواة اللغويون على جمع مفردات اللغة و نزلوا البادية يتلقون عن العرب الفصحاء، واتسع إدراك الناس و خاصة العلماء منهم بأهمية العمل المعجمي توفر عدد من العلماء أمثال: أبي عمرو بن العلاء و أبي زيد الأنصاري ... توفر هؤلاء على الحشد الهائل من المادة التي جمعت، و عمدوا إلى تصنيفها في شكل أعمال معجمية، فضلاً عن زيادة الوعي و تضاعف الإحساس بالحاجة إلى إنتاج علمي في كل مجال بما في ذلك مجال المعجم»².

نظراً لتضافر هذه الأسباب و إدراكا من العلماء القدامى بأهمية المعاجم، عني هؤلاء العلماء بجمع الألفاظ من مصادرها و دخلوا ميدان التأليف المعجمي، و قد بدأوا هذه الحركة النبيلة في القرن الأول للهجرة، ثم أخذت تنمو تدريجياً حتى نضجت و اكتملت في القرن الرابع للهجرة، و حركة التأليف المعجمي عند العرب القدامى مرّت بأربع مراحل و هي:

1-المرحلة الأولى: و هي مرحلة تفسير غريب القرآن و غريب الحديث و غريب ما ورد في الشعر العربي و نوارده و ما لم يفهمه الصحابة، و كانت طريقتهم تعتمد على شرح

¹ - أنظر ابراهيم عبد الجواد، في الدلالة و المعجم، ص 146.

² - المرجع نفسه، ص 146.

معاني المفردات مصحوبة بمصادرهما من كلام العرب، و من المعروفين بهذا الصنيع ابن عباس في تفسيره لغريب القرآن.

2- المرحلة الثانية: و فيها بدئ وضع المعاجم الشاملة للغة، و هي معجمات جامعة شاملة تشرح معاني الكلمات و ترتب هذه المفردات ترتيبا خاصا، كالترتيب على مخارج الحروف أو الحروف الهجائية انطلاقا من الحرف الأول، أو الأخير للكلمة، و أول من قام بهذا الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابة "العين"، إذ رتب كلماته بحسب ترتيبها في مخارج أول حروفها بدءا بأقصى الحلق و لذلك بدأ بحرف العين و منتهيا بالشففتين¹.

- المرحلة الثالثة: و فيها بدأ اللغويون العرب في حصر مادة اللغة العربية في مجاميع في شكل رسائل خاصة، تحتوي كل منها على الألفاظ الخاصة بموضوع معين و من أمثلة ذلك ما يلي:

أ- كتاب أبي زيد الأنصاري، في المطر و اللبأ و اللبن و الغرائر و الجرائم.

ب- كتب الأصمعي "في الدارات و السلاح و الإبل و النخيل و أسماء النبات و الوحوش و الشجر".

ج- كتب ابن قتيبة: في "الرجل و المنزل و اللبأ و اللبن".

د- كتب ابن دريد: في "صفات السرج، و السحاب و الغيث" هذا إلى جانب كتاب ابن خالويه في أسماء الأسد و أسماء الحية، و كتاب أبي علي، و التعريفات للجرجاني و الكليات لأبي البقاء ...².

4- المرحلة الرابعة: و في هذه المرحلة ظهرت معجمات ترمي إلى بيان المفردات الموضوعية لمختلف المعاني، أي مرتبة حسب الموضوعات و من أشهر ما ألف في هذه المرحلة ما يلي:

1- كتاب الألفاظ لابن السكيت.

2- الألفاظ الكتابية للهمذاني.

3- جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر - متخير الألفاظ لابن فارس.

¹ - المرجع السابق، ص35.

² - المرجع نفسه، ص35.

4- التلخيص في معرفة الأشياء لأبي الهلال العسكري.

5- مبادئ اللغة للخطيب الإسكافي.

6- فقه اللغة للثعالبي.

7- المخصص لابن سيده.

و قد عرفت حركة التأليف المعجمي عند العرب أربع مدارس أساسية و هي:

أ- مدرسة النظام الصوتي و نظام التقلبيات: و تضمّ هذه المدرسة: العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تهذيب اللغة للأزهري، المحيط في اللغة للصاحب بن عباد، المحكم لابن سيده.

ب- مدرسة النظام الهجائي: حسب الحرف الأول و الثاني مع الاحتفاظ بنظام الأبنية و تضمّ هذه المدرسة ما يلي: جمهرة اللغة لابن دريد، مقياس اللغة لابن فارس، المجمل لابن فارس.

ج- مدرسة القافية: بحسب الحرفين الأول و الأخير و تسمى طريقة الباب و الفصل و تضمّ هذه المدرسة ما يلي: الصحاح للجوهري، اللباب للصغاني، لسان العرب لابن منظور، القاموس المحيط للفيروز بادي، الراموز في اللغة لمحمد بن حسين، تاج العروس للزبيدي.

د- مدرسة النظام الألفبائي الهجائي: بحسب الحرف الأول و الثاني و الثالث بعدّ تجريد الكلمة من الزوائد و تضمّ هذه المدرسة: الجيم لأبي عمر الشيباني، أساس البلاغة للزمخشري، المصباح المنير للفيومي، محيط المحيط للبستاني، المنجد لويس معلوف.

* المعاجم العربية القديمة في نظر اللغويين المحدثين:

لقد اتّسعت جهود اللغويين العرب المحدثين في دراسة المعاجم العربية القديمة و كثرت الانتقادات لهذه المعاجم، سواء من حيث الشكل أو المادة المعجمية الموجودة بداخلها، و من هؤلاء ما يلي:

- الدكتور أحمد مختار عمر: تناول الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه: البحث اللغوي عند العرب موضوع المعجمية العربية عند اللغويين العرب القدامى بالنقد و رصد جملة من الملاحظات السلبية فيها و هي:
- «1-عدم ترتيب المواد ترتيبا داخليا و فيها خلط بين الأسماء و الأفعال، و الثلاثي و الرباعي و المجرد و المزيد و خلط المشتقات بعضها بعض.
- 2-عدم التزام المعجمين القدامى بمنهجية سليمة واضحة تسهّل عملية البحث في المعجم.
- 3-كثرة الأخطاء في شرح المادة اللغوية.
- 4-غموض العبارة و تعريف اللفظ الغامض بلفظ غامض.
- 5-غياب الدقة في التعبير.
- 6-معاجم المتأخرين تقليد و نقل من معاجم المتقدمين.
- 7-وقوف المعاجم القديمة على فترة زمنية لا تتجاوز القرن الثاني لعرب الحواضر و الرابع بالنسبة لعرب البوادي.
- 8-الحشو و التضخيم بمواد غريبة.
- 9-غياب ضبط الكلمات بالشكل.
- 10-معاجم القدامى كانت معاجم فردية لا جماعية.
- 11-غياب التخصص في المعاجم القديمة إذ كانت بمثابة موسوعات»¹.
- و من الذين رصدوا عيوب المعاجم العربية القديمة، الدكتورة زينب الحاج مديح جبارة النعيمي²، حيث أكدت أنّ هذه المعاجم فيها عدّة مآخذ أخطاء تتلخص فيما يلي:
- 1-غياب المنهج العلمي في ترتيب المادة.
- 2-العشوائية في الترتيب (ترتيب الألفاظ).
- 3-اختلافها في عدد الحروف الهجائية و ترتيبها.
- 4-الأخطاء في شرح الكلمات.

¹ - أنظر أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ص، 295، 296.

² - أنظر زينب الحاج مديح جبارة، مقال: رؤية نقدية في المعجم العربي، www.voice of arabic net index.php

- 5- التصحيف و التحريف سبب الكتابة و النسخ.
 - 6- أخطاء صرفية اشتقاقية كذكر حرف مزيد في مادة أصلية أو مادة ثلاثية أو رباعية.
 - 7- إهمال بعض الأبنية المستعملة في اللغة بحجة قلتها و وصفت بأنها مهملة.
 - 8- الخلط في المادة المعجمية بين الأسماء و الأفعال و الثلاثي و الرباعي.
 - 9- ابتداء المادة المعجمية باسم الفاعل ثم اسم المفعول و اسم المكان و اسم الآلة عوضاً عن الابتداء بالفعل أو المصدر.
 - 10- غموض العبارة و تعريف اللفظ الغامض بلفظ غامض مبهم كقول الفراهي «الصدع الوعل بين الوعلين و هو يريد أنه وسط منها ليس بالعظيم أو الصغير و كقول الفراهي: النثور- النيلج، و قد شرحه الجوهري بقوله: و هو دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يحصر».
 - 11- غياب الدقة في التعبير كقول الفراهي دائماً: الأكلف هو ما كان لونه بين السواد و الحمرة و الحقيقة أن الكلفة ذلك اللون، أمّا الأكلف فهو ما كان بين السواد و الحمرة».
 - 12- الحشو في الشروحات و ذكر الأعلام العربية و الأعجمية و أسماء الأماكن و القصص و الخرافات و المفردات الغربية.
 - 13- إهمال ضبط الشكل ممّا جعل الكلمة تحمل تأويلات.
 - 14- معجمات المتأخرين تكرر لما ذكره الأولون.
 - 15- إهمال مسألة التطور اللغوي للألفاظ.
- «و من المنتقدين للمعجم العربية القديمة حيدر جبار عيدان الذي تناول بالدراسة و التحليل و الانتقاد هذه المعجم و خلص إلى ما يلي:
- المعجم العربي القديم أهمل المعيار الدلالي للكلمة و تطوّر ها.
 - وضع المعجم العربي القديم أسواراً للمتن اللغوي تمثل بعبور الاحتجاج الذي توقفت عنده جمع المادة اللغوية، و قد حمل في طياته ضياعاً لثروة لغوية كان حقها أن تذكر في هذه المعجم لتزويد المعجم التاريخي بثروة لغوية مع الاعتماد على عصرها و قائلها.
 - اعتمد المعجم العربي القديم على المبنى و أهمل المعنى.

- عوّل المعجم العربي القديم على الشرح المبهم و على شواهد غير منسوبة لقائلها.
- صعوبة الطرائق التي اتبعتها القدامى في شرحهم للمادة المعجمية، لأنها لا تسعف الباحث في استخراج معنى ما، إلا بعد قراءة المادة كلها للوصول إلى المعنى المراد.
- اهتموا في الاستشهادات بالشعر الجاهلي و الاسلامي و المخضرم و قصرُوا في الاستشهاد بالقرآن الكريم و الحديث الشريف¹.

و منهم أيضا الدكتور محمد علي عبد الكريم الرديني² الذي قام بدراسة منهجية و نقدية للمعاجم العربية القديمة و خلص إلى أنّ هذه الأخيرة تتميزّ بجملة من النقائص سواء على مستوى المنهج أو على مستوى المادة المعجمية، و ملاحظاته نلخصها فيما يلي:

- 1- عدم التزام المعجميين القدامى بالمنهج العلمي السليم في ترتيب و تنظيم المادة المعجمية.
- 2- إقصاء بعض اللهجات أثناء جمع المادة المعجمية.
- 3- إهمال المولد و عدم عدّه من اللغة الفصيحة.
- 4- الاضطراب في وضع كثير من المفردات بسبب مراعاتهم لبعض الأحكام الصرفية و خاصة الاشتقاق و أصالة الحروف و زياداتها، ممّا أدى إلى تكرير كثير من الألفاظ التي اختلف فيها الصرفيون، و ادّعى كل واحد منهم أنه لها أصلا.
- 5- سوء شرح و تفسير المادة المعجمية، ممّا أدى بهم إلى الشرح الخاطيء و المبهم أحيانا.
- 6- غموض العبارات التي وظفها المعجميون القدامى في شروحاتهم للمادة.

¹ - حيدر جبار عيدان، مقال: المتن اللغوي في المعجم العربي القديم، المكتبة الشاملة، <http://www.shamela.ws>
² - محمد علي عبد الكريم الرديني، المعجمات العربية، دراسة منهجية، ص ص، 179، 180.

*موقف الدكتور رمضان عبد التواب من المعاجم و حركة التأليف المعجمي عند العرب
القدامي:

لقد تناول الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه «بحوث و مقالات في اللغة»
بالدراسة الوصفية و الانتقادية للمعاجم القديمة، هذه الدراسة أسفرت عن تبني مجموعة من
المواقف و الآراء العلمية إزاءها، و ذلك كما يلي:

كان أول موقف تبناه، هو الاعتزاز بجهود السلف في مجال التأليف المعجمي، إذ
يقول: «و من يتصفح هذه المؤلفات يعجب من المجهود المبذول حقا»¹، و يقول أيضا:
«هذا هو جانب من تراثنا اللغوي و هو جانب متن اللغة أو المعجم، و لا ينكر أحد ما بذله
أسلافنا من البحث و التنقيب و الجمع و الترتيب»²، بعد هذا انتقل إلى انتقاد علماء اللغة
القدامي «حين أوقفوا عملية الجمع في فترة زمنية لا تتجاوز القرن الثامن للهجرة بالنسبة
لعرب الحواضر و القرن الرابع للهجرة بالنسبة لعرب البوادي، وانصرف هؤلاء إلى
البحث في المادة اللغوية و ترتيبها و عرضها و تصنيفها»³.

و هذه فترة قصيرة في نظر الدكتور رمضان، و العرب بهذا قد أهملوا ما بعد ذلك
من ألفاظ الحضارة و المبتكرات المحدثّة التي شهدها العصر العباسي على امتداده، فكان
القدامي قد انصبوا على الألفاظ القديمة فقط، بما فيها الغريب و الموات.

آراء الدكتور رمضان عبد التواب في المعاجم القديمة:

بعد أن استعرض رمضان عبد التواب مواقفه من حركة التأليف المعجمي قديما
انتقل إلى التعبير عن آرائه السديدة في هذه المعاجم القديمة، سواء من حيث الشكل أو
المضمون، و هذه الآراء كلها تتلخص في رصد العيوب و النقائص التي منيت بها هذه
المعاجم القديمة و التي جعلتها تبتعد عن العلمية و الشكل النموذجي كما هو وارد في علم
المعاجم الحديث.

¹ - رمضان عبد التواب، بحوث و مقالات في اللغة، ص 147.

² - المصدر نفسه، ص 147.

³ - المصدر نفسه، ص 147.

و آراء الدكتور رمضان عبد التواب في المعاجم القديمة كما وردت في مؤلفه السابق الذكر كانت كما يلي:

1- غياب المنهجية العلمية في ترتيب المادة المعجمية الواحدة، إذ يتحتم على المرء في كثير من الأحيان أن يقرأ المادة كلها للعثور على بغيته، إذ يلزمك أن تقرأ عشر صفحات في مادة (عرف) مثلاً: إذا كنت تبحث عن كلمة (معرفة).

2- الخلل في الاستشهاد، و ذلك بوجود الكثير من المواد تكاد تخلو من الشواهد، في حين بعض المواد الأخرى غنية بالشواهد من القرآن و الحديث الشريف، و هذا يؤدي إلى الشكّ في صحة ورود بعض الألفاظ عن العرب.

3- إهمال اللغويين القدامى لمسألة التطور اللغوي للألفاظ من حيث الأصوات و الأبنية و الدلالة و الأسلوب.

4- عدم اعتماد المعجميين القدامى في معاجمهم على علم اللغة المقارن، و لم يقارنوا بين ألفاظ اللغة العربية و أخواتها الساميات، كالعبرية و الآرامية و الحبشية.

5- اتصاف بعض المعاجم القديمة خاصة عند المتأخرين منهم «بالتضخيم مثل تاج العروس للزبيدي و لسان العرب لابن منظور»¹.

6- الخلط بين اللغة العربية الفصيحة و بين اللهجات العربية القديمة دون وجود إشارات إلى ذلك.

7- التصحيف و التحريف في المعاجم العربية القديمة ممّا أدى إلى كثرة الأخطاء فيها مثال ذلك ما وقع فيه الجوهري في معجم الصحاح حينما استشهد على أنّ «اللجز مقلوب اللزج» في بيت ابن مقبل:

يعلون بالمرد قوس الورد ضاحية على سحابيب ما إن الصالة اللجز

و نسي أن هذا البيت من قصيدة نونية في ديوان ابن مقبل، و صحة الراوي «اللجن»².

و على هذا الحدّ اعتبر الدكتور رمضان عبد التواب هذه المعاجم ناقصة شكلاً و مضموناً و لم ترق إلى مستوى المعاجم كما ينصّ على ذلك علم المعاجم.

¹ - المصدر السابق، ص149.

² - أنظر المصدر نفسه، ص149.

و الدكتور رمضان عبد التواب بهذا الصنيع و بهذا الانتقاد يدعو إلى:

1-وجوب إعادة النظر في المعاجم العربية القديمة من ناحيتين و هما:

أ-ناحية المنهج: و يتمثل في طريقة ترتيب المادة المعجمية ترتيبا علميا ممنهجيا يسهل عملية البحث على القارئ و الباحث.

ب-من ناحية المادة المعجمية: و ذلك عن طريق استقراءها بتوظيف المناهج اللغوية الحديثة، كالمنهج الوصفي لوصف دقة الألفاظ من حيث طريقة نطقها في عصرها و بنيتها و دلالاتها، علم اللغة التاريخي لمعرفة الألفاظ من حيث تطورها صوتيا و صرفيا و دلاليا و أسلوبيا، المنهج المقارن و ذلك بالاستعانة باللغات السامية، لأن ذلك معين على معرفة أصول الكلمات العربية و دلالاتها.

2-وجوب التأكد من صحة الشواهد الشعرية الموظفة في المعاجم من قبل القدامى، و ذلك بتوضيح مصادرها و قائلها.

3-محاربة التضخم في الشواهد و الشروحات، و ذلك عن طريق حذف الحشو والتزام الدقة.

4-وجوب الفصل بين العربية التي تتخذ فيصلا للصحة و الخطأ و اللهجات العربية.

5-وجوب تحقيق توازن بين شواهد المادة المعجمية.

7-تصحيح مختلف الأخطاء التي جاءت عن طريق التصحيف و التحريف.

8-حذف الشروحات المبهمة الغامضة الواردة في المعاجم العربية القديمة.

9-وضع تعريفات علمية دقيقة للمصطلحات الواردة في المعاجم القديمة.

10-وجوب تمديد فترة جمع المادة المعجمية و ليس حصرها كما فعل القدامى.

و على هذا الأساس نستنتج أن الدكتور رمضان عبد التواب يدعو إلى طريقة غير مباشرة إلى وجوب إعادة النظر في المعاجم، و إعادة انجازها في ثوب جديد و في ضوء علم اللغة الحديث و المناهج اللغوية الحديثة.

و تجدر الإشارة إلى أن مسألة المعاجم العربية و الدعوة إلى تجديدها لم تخص رمضان عبد التواب فحسب، بل إن الدكتور محمد رشاد الحمزاوي قد دعا إلى ذلك

و وضّح المنهجية السليمة لإخراج معجم عربي جديد تتوقّر فيه المقاييس العلمية، و ذلك كما يلي:¹

- 1- وجوب الاعتماد على المنهجية العلمية الدقيقة في ترتيب المادة المعجمية.
- 2- إنجاز المعجم يستوجب الاستعانة بالتخصصات المختلفة لأنّ تأليف المعاجم عمل جماعي و ليس عملا فرديا.
- 3- إدراج الألفاظ المستحدثة في المعجم.
- 4- إدراج قسط وافر من العلوم العصرية في المعاجم العربية، ممّا يفرض تجديد موادها و ترك الكثير من القديم.
- 5- إحياء الألفاظ القديمة للمسميات الجديدة.
- 6- وجوب تخلص المعجمي من النزعة المذهبية و العرقية.
- 7- وجوب تنقية المعاجم العربية القديمة من الخرافات و الأوهام و الروايات التي لا يعضدها دليل.
- 8- التخلّص من المعاجم العامة و وضع معاجم متخصصة، مثل: المعجم العلمي الذي يبحث في المصطلحات العلمية على حسب الاختصاص، المعجم التاريخي الذي يبحث في نشوء المادة و تطوّرها الاستعمالي.
- 9- وجوب إدخال المولّد و الدخيل و النصّ عليهما في ميدان الترتيب.
- 10- وجوب اختيار الكلمات و في هذا الصدد يجب اعتماد الكلمات العادية و الكلمات التقنية و العلمية.
- 11- وجوب الاعتماد على التعاريف المضبوطة و حسن ترتيب الألفاظ.
- 12- وجوب اعتماد أصول الكلمات تبعا للنطق الصحيح لها.

¹ - أنظر محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم قديما و حديثا، ص ص، 04، 05.

أسس المعجمية في ضوء علم اللغة الحديث:

- 1- الدقة في ترتيب المادة و تنسيقها و ضبطها.
 - 2- الحرص على توضيح المادة بالشواهد الأحادية و تدعيمها بالرسوم كلما احتاج الأمر إلى ذلك.
 - 3- اعتماد الألفاظ المولدة و الدخيلة مع الإشارة إليها.
 - 4- احتواء المعجم على مواد جديدة تفي بالألفاظ التي تعبّر عن متطلبات الحياة الحاضرة.
 - 5- الحرص على الدقة العلمية في تعريف الكلمات و شرحها.
 - 6- على المعجمي أن يوضّح معنى من معاني الكلمات نصاً، يوضّح فيه المعنى المعجمي بدقة ثمّ المعنى السياقي.
 - 7- وجوب الاعتماد على المنهج الوصفي صوتياً و صرفياً.
 - 8- وجوب الاعتماد على المنهج التاريخي لتتبع تطوّر الكلمة من جوانبها الصوتية و البنية و الدلالة.
 - 9- توظيف علم اللغة المقارن لتوضيح أصول الكلمات.
 - 10- الكلمات المترادفة توضع في جدول خاص في أول المادة و كذلك الكلمات المشتركة في اللفظ و المصحفة توضع بين قوسين.
 - 11- اعتماد القيمة الوظيفية للحرف في سياقاتها اللغوية.
- و هذه الخصائص و الأسس نجدها مجسّدة في المعجم الأوروبية خلال العصر الحديث، عصر النهضة، مثل معجم «لاروس في الفرنسية، و معجمي "إكس فورد و بيستر في الانجليزية، و معجم أودلونج في الألمانية و معجم أكاديمية سان بوترس بورج في الروسية"²، هذا إلى جانب المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية للمستشرق الألماني «فيشر» و الذي اعتمد فيه على المنهج التاريخي، هذا المنهج الذي هو قائم على

¹ - أنظر د. وفاء كامل فايد، المجامع اللغوية و قضايا اللغة من النشأة إلى أواخر القرن العشرين، ص22، 23.

² - المرجع السابق، ص22، 23.

تتبع الكلمة من أقدم العصور، برصد تطور الكلمة دلاليا. و قد ذكر فيشر في مقدمته بداية الحدّ الزمني لهذا المعجم و نهايته، فهو معجم تاريخي للعربية حتى نهاية القرن الثالث للهجرة، أمّا بداية استشهاده فبالنقش النمارية من القرن الرابع الميلادي.

و لم يقتصر على معاجم اللغة و إنما أخذ من مصادر مختلفة كالقرآن الكريم و الحديث الشريف و الأمثال و المؤلفات التاريخية و الجغرافية، كتب الأدب و الكتابات المنقوشة.

أمّا المعاجم العربية فيرجع إليها في ألفاظ لم يجد لها شواهد فيما رجع إليه من كتب.

و قد رتب هذا المعجم ترتيبا ألفبائيا تبعا لحروف الهجاء العربية على اعتبار الحرف الأول و الثاني و الثالث أساسا.

يبدأ بإيراد الفعل المجرد ثمّ المزيد بحرف ثمّ المزيد بحرفين ثمّ المزيد بثلاثة أحرف، يبدأ بذكر الأفعال أولا ثمّ الأسماء التي ترتب على نظام ترتيب الأفعال. و قد اعتمد فيشر في هذا المؤلف على المنهج التالي:

«-الكلمات الأعجمية المعربة الزائدة عن ثلاثة أحرف تتبع الكلمات العربية في ترتيب المعجم إن تصرف فيها العرب بالاشتقاق، مثل: إبريق، دكان، ديباج، سراويل، نجدها في مادة: برق، دكن، ديج، سرول، و التي لم يتصرف فيها العرب بالاشتقاق تعتبر حروفه أصلية مثل: بنفسج، سفرجل، شطرنج.

- أورد الكلمات الأعجمية المعربة على حدى، كما يتسنى العثور عليها دون عناء.
- يتبع الشرح العربي للكلمات شرحا مختصرا.
- يقوم برد الكلمات المعربة إلى أصلها.
- يفرق بين المعاني الحقيقية و المعاني المجازية.
- يحاول عقد الصلة بين المعاني العربية و المعاني الواردة في اللغات السامية.
- يحاول تبيين النواحي الصرفية و الدلالية للكلمة.
- يقوم بتوظيف رموز معينة للمصطلحات التي ترد بكثرة عنده، مما يعين على الاختصار في معجمه.

-يوظف الشواهد الشعرية مع ذكر أسماء قائلها حتى و لو كان قسم كبير منه منحولا أو مصنوعا، فهي في الغالب عربية قديمة، فهي لذلك صالحة لمعجمه»¹.

*آراء الدكتور رمضان عبد التواب المعجمية و علم اللغة الحديث:

إننا إذا ما قيّمنا ما تبناه الدكتور رمضان عبد التواب حول المعاجم العربية بين الواقع و ما يجب أن تكون عليه، و قارنا ذلك و ما تضمنته المعاجم الغربية الحديثة نستنتج ما يلي:

1- ما وضحه عن المعاجم العربية القديمة من نقائص و سلبيات حقيقة و واقع أثبتته معظم الدارسين العرب المحدثين أمثال الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه "الدرس اللغوي عند العرب"، الدكتور عبد الجواد ابراهيم في كتابه "دراسات في الدلالة و المعجم"، الدكتور وفاء كامل فايد في كتابه "المجامع العربية و قضايا اللغة"، الدكتور محمد رشاد الحمزاوي في كتابه "من قضايا المعجم العربي قديما و حديثا" ... الخ.

2- الدكتور تمام حسان متأثر بالمعاجم الغربية الحديثة من زوايا متنوعة كطريقة وضع المعجم و منهج ترتيب المادة المعجمية، و أنه متأثر بالأسس التي تبناها فيشر في مشروعه الضخم و المتمثل في إنجاز معجم عربي تاريخي مهيكّل و منظم و مرتب و مستفيد من مناهج علم اللغة الحديث، كالمناهج الوصفي و المنهج التاريخي و المنهج المقارن ... الخ

3- ما تبناه الدكتور رمضان عبد التواب من آراء، و ما يدعو إليه قد تأكّد في المعاجم الغربية الحديثة من حيث حيويتها و مواكبتها لمستحدثات العصر و استيعابها لألفاظ الحضارة الحديثة.

4- إنّ ما وجهه الدكتور رمضان عبد التواب للمعاجم العربية القديمة ليس الهدف من وراء ذلك الحط من قيمتها، و إنّما مساعيه سامية تتلخّص في الدعوة إلى إعادة تشكيل معجم عربي جديد من حيث الشكل و المنهج و تنقيته من الأوهام و الخرافات التي فرضها بعض المعجميين القدامى، لتصبح معاجم تتصف بالدقة و التنظيم و العلمية، و تضاهي

¹ - د. سالم سليمان الخماش، المعجم و علم الدلالة، ص 104. وانظر عبد العزيز حميد بن حميد بن محمد، المعجم التاريخي لدى المستشرق الألماني فيشر، دراسة تقويمية، www.google.com

المعاجم الغربية الحديثة و تفيد اللغة العربية و ألفاظها القديمة و الجديدة أولاً و الدارسين ثانياً، مع التأكيد بأنّ اللغة العربية السامية ليست لغة جامدة وكما تتهم من قبل الحاقدين عليها، بل إنها تحمل عنصر التجدد، و هي لغة حيّة، كاللغات الحية في العالم.

5- التأكيد بأنّ تأليف المعجم يتطلب كفاءة و تخصصات متنوعة و يحتاج إلى منهجية علمية و إلى المعرفة الدقيقة بالمناهج اللغوية المختلفة، و ذلك لاستيعاب ما يطرأ للمعارف الإنسانية من جديد و إحياء الألفاظ القديمة للمسميات الجديدة.

خاتمة

الخاتمة:

بعد البحث و الدراسة في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة" للدكتور رمضان عبد التواب، توصلت إلى عدّة نتائج كانت بمثابة خلاصة لذلك الجهد المتواضع في رحاب هذا البحث، و هذه النتائج تتلخّص فيما يلي:

1-الدكتور رمضان عبد التواب درس اللغة العربية و التراث اللغوي العربي دراسة علمية ممنهجة استمد أسسها من علم اللغة الحديث و مناهجه الجديدة، كالمنهج الوصفي، المنهج التاريخي، المنهج المقارن، و المنهج التقابلي.

2-جهود الأستاذ عبد التواب ودراساته اللغوية من خلال كتابه «بحوث ومقالات في اللغة مكنته من الوصول إلى مستوى التنظير وتبني آراء علمية ونظريات لغوية جديدة، نذكر منها نظرية السهولة والتيسير، نظرية الاقتصاد اللغوي، نظرية التطور اللغوي، ونظرية الركام اللغوي، هذه الأخيرة التي تعد نظرية لغوية جديدة أبدعها الأستاذ رمضان وأسهم من خلالها في الكشف عن كثير من المسائل والقضايا اللغوية الشائكة كما وردت في كتب التراث العربي القديم.

3-ما توصل إليه الدكتور رمضان عبد التواب من آراء في أبحاثه الصوتية و الصرفية و النحوية و الدلالية و المعجمية الواردة في كتابه "بحوث و مقالات في اللغة" يقرّه علم اللغة الحديث.

4-دراسات الدكتور رمضان عبد التواب اللغوية علمية نفتت العربية الفصحى و التراث من الأوهام و الخرافات و الأخطاء التي كانت عالقة في أذهان بعض العلماء العرب القدامى و المحدثين.

5-طريقة الدكتور رمضان عبد التواب في دراساته اللغوية و تحاليله و مناقشاته العلمية من خلال كتاب "بحوث و مقالات في اللغة" طريقة علمية جادة قائمة على المنطق و الحجة اللغوية، فمنهجه علمي وضّح للدارسين المنهج السليم و الصحيح للبحث في التراث و البعد عن التأويل و الافتراض و الظن، كما كان سائدا عند الكثير من علماء اللغة القدامى.

6-دراسات الدكتور رمضان عبد التواب في هذا الكتاب مكنته من تبني آراء علمية و نظريات لغوية جديدة لم يسبق إليها نذكر من ذلك: نظرية الركاب اللغوي، نظرية السهولة و التيسير، نظرية الاقتصاد اللغوي، نظرية التطور اللغوي، ... الخ.

7-جهود الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه "بحوث و مقالات في اللغة" استوفت جميع مستويات التحليل اللغوي، و تؤكد مدى سعة ثقافته و تمكنه من توظيف المناهج اللغوية الحديثة في دراسة التراث اللغوي.

8-الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب يعتبر مدرسة لغوية كاملة عرفت بالمدرسة الرمضانية و قد وقق في إيصال رسالته إلى الناس عبر بحوثه و إنتاجه الفكري الغزير و أورث تلاميذه المنهج السليم و الخطوات العلمية في الدراسات اللغوية لا سيما ما تعلق بالبحث في التراث و علمهم كيفية الاستفادة من اللغات السامية.

9-كتاب "بحوث و مقالات في اللغة" يمثل موسوعة علمية لغوية لما يحتويه من غزارة الفكر و تنوع المسائل اللغوية، و دقة التحليل و تنوع المناهج اللغوية في تحليل المسائل الواردة فيه.

10-آراء رمضان عبد التواب اللغوية جديدة و قيّمة يمكن إدخالها في خانة الجهود اللسانية و التي أضافت الكثير إلى اللغة العربية، و إلى البحث اللساني العربي الحديث.

11-الأستاذ رمضان عبد التواب لم يكن منغلقا و متعصبا لتراثه، بل انفتح على الحداثة و التجديد دون أن ينسى أن لتراثه خصوصية لا بدّ من التعامل معها بحذر.

12-الأستاذ رمضان عبد التواب خطأ لنفسه منهجا لغويا جديدا مخالفا للمناهج التي خطاها معاصروه في البحث اللغوي، منهج استمد معالمه من المدرسة الألمانية التي تهتم باللهجات و بعلم اللغة المقارن.

13-الأستاذ رمضان عبد التواب فتح أعيننا على دراسة الفصحى و نبهنا إلى قضايا شائكة في التراث اللغوي العربي القديم، و تحتاج إلى إعادة نظر من جديد.

تلکم هي أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها في رحاب البحث في الآراء اللغوية عند الدكتور رمضان عبد التواب من خلال كتابه "بحوث و مقالات في اللغة".

و تجدر الإشارة إلى أنني لست بهذه الدراسة التي خضت غمارها قد أحطت بجميع جوانب الموضوع و أتيت بكل ما يمكن أن يقال فيه، لأنّ مثل ذلك بعيد المنال و نادر الإدراك، و عليه فإنّ دراسة فكر و منهج الدكتور رمضان عبد التواب الواسع الأطراف و آرائه العلمية، و نظرياته اللغوية مازالت تحتاج إلى مزيد من الدراسة و التعمق لإزالة الغبار عليها و الاستعانة بها قصد فهم حقيقة العربية و التراث اللغوي العربي الغزير في المادة.

و أخيرا أتمنى أن يكون هذا البحث المتواضع قد استوفى حقه من الدراسة و الاستنتاج و زود القارئ ببعض الإشارات الدقيقة الوافية و الأفكار القيّمة عن فكر و منهج و آراء و نظريات العلامة الدكتور رمضان عبد التواب من خلال كتابه "بحوث و مقالات في اللغة".

قائمة المصادر و

المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.
قائمة المصادر و المراجع:

01-	ابن جني. الخصائص. تحقيق محمد علي النجار دار الكتاب العربي بيروت 1952.
02-	ابن جني. سر صناعة الإعراب. تحقيق مصطفى السقا المكتبة العلمية الحلي القاهرة 1954.
03-	ابن فارس. معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر 1979.
04-	ابن منظور. لسان العرب. دار صادر بيروت لبنان ط1 1986.
05-	إبراهيم السمراي. النحو العربي نقد وبناء. ط1. 1979
06-	إبراهيم السمراي. النحو العربي نقد وبناء. دار عمار للنشر والتوزيع ط2 1997
07-	إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ط1 1957.
08-	إبراهيم أنيس. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. مطبعة الخانجي ط2 القاهرة 1985.
09-	إبراهيم أنيس. دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية ط2 1973.
10-	إبراهيم مصطفى. إحياء النحو. دار المعارف القاهرة ط2 1992.
11-	الخليل بن أحمد الفراهدي. العين. تحقيق عبد الله درويش مطبعة العالي 1967.
12-	الزجاجي. الإيضاح في علم النحو. تحقيق مازن المبارك. دار النفائس ط1 1988.
13-	السيوطي. الاقتراح في علم أصول النحو. تحقيق أحمد محمد قاسم. دار النفائس ط1 1986.
14-	الشريف الجرجاني. التعريفات. مؤسسة الحسيني الدار البيضاء المغرب ط1 2006.
15-	الشريف ميهوبي. دراسة في التطور والتأصيل منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين 2002.
16-	الفيروزبادي. القاموس المحيط مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 2005
17-	الطاهر قطبي. بحوث في اللغة. ديوان المطبوعات الجامعية ط1 1988.
18-	أحمد سليمان ياقوت. دراسات نحوية في خصائص ابن جني. مطابع دار النشر الجامعية، ط1. 1980.
19-	أحمد سليمان ياقوت. ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ط1 1981
20-	أحمد عبد الرحمان حماد. عوامل تطور اللغوي. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط1 1983.
20-	أحمد مختار عمر. البحث اللغوي عند العرب. عالم الكتب القاهرة ط8 2003.

22-	أحمد مختار عمر. علم الدلالة. عالم الكتب. القاهرة ط2
23-	تمام حسان، الأصول، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
24-	تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب القاهرة، ط2، 2001.
25-	تمام حسان. اللغة بين المعيارية والوصفية. عالم الكتب القاهرة، ط4 2001.
26-	خليفة بوجادي. محاضرات في علم الدلالة. بيت الحكمة للنشر والتوزيع الجزائر ط1 2009.
27-	دوسوسير. محاضرات في الألسنية العامة. ترجمة يوسف غازي، مجيد الناصر. المؤسسة الجزائرية للطباعة 1986.
28-	رجب عبد الجواد. دراسات في الدلالة والمعجم. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ط1 2001.
29-	رمضان عبد التواب. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. دار الراجحي الرياض، ط2 1981.
30-	رمضان عبد التواب. بحوث ومقالات في اللغة. مطبعة الخانجي القاهرة ط1 1982.
31-	رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، القاهرة، ط3، 1997م.
32-	رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، القاهرة، ط6، 1999.
33-	سالم سليمان الخماش. المعجم والدلالة. موقع لسان العرب. ط2 2005.
34-	شوقي ضيف. تجديد النحو. دار المعارف القاهرة. ط6
35-	صابر بكر أبو السعود. القياس في النحو العربي من الخليل إلى سيبويه. مطبعة الطليعة أسيوط 1985.
36-	عباس حسن. اللغة والنحو بين القديين والحديث. دار المعارف القاهرة ط2 1978.
37-	عبد الجبار تومة. زمن الفعل في العربية جهاته وقرائنه. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1994.
38-	عبد السلام المسدي. التفكير اللساني في الحضارة العربية. الدار العربية للكتاب ط2. 1986.
39-	عبد الصبور شاهين. دراسات لغوية. مؤسسة الرسالة ط2 1986.
40-	عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ط1 1990.
41-	عبد الكريم بكيري. ابن مضاء وموقفه من أصول النحو. ديوان المطبوعات الجزائرية ط1. 1986.
42-	عبد الراجحي. فصول في علم اللغة العام. مكتبة فهد الوطنية القاهرة ط1 1985
43-	فايز داية. علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق. دار الفكر العربي دمشق ط3 1986.
44-	فندريس. اللغة. تعريب الدواخلي والقصاص مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة.

45-	كمال محمد بشر. اللغة بين الوهم وسوء الفهم. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ق 2 1999.
46-	محمد خير الحلواني. مطبعة لحلو حلب سوريا ط 2 1977.
47-	محمد رشاد الحمزاوي. من قضايا المعجم قديما وحديثا. دار الغرب الإسلامي ط 1 1986.
48-	محمد عيد. أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللغة الحديث. دار الكتب القاهرة ق 2 1978.
49-	مصطفى غلفان. اللسانيات العربية دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية شركة النشر والتوزيع ط 1 2006.
50-	منى إلياس. القياس في النحو. دار الفكر دمشق ط 1 1985.
51-	مهدي إسعد عرار. جدل اللفظ والمعنى دراسة في دلالة الكلمة. دار وائل للنشر ط 1 2001.
52-	مهدي المخزومي. النحو العربي نقد وتوجيه. دار الرائد العربي بيروت ط 3 1986.
53-	مهدي المخزومي. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. دار الرائد العربي بيروت ط 3 1983.
54-	ماریوبای: أسس علم اللغة ترجمة وتعليق أحمد مختار عمر عالم الكتب القاهرة 1982.
55-	نور الهدى لوشن. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. المكتبة الجامعية الإسكندرية 2000.
56-	هادي نهر. أسلوب التعليل في اللغة العربية بغداد 1988.
57	هؤلاء علمونا. الكتاب التذكري الأول. كلية الآداب جامعة عين الشمس القاهرة 2002.

المراجع الفرنسية:

- 01- André martinet. Elément de linguistique générale . Armand colin 1970
- 02- Edward sapir . le langage. Introduction à l'étude de la parole. paris 1967
- 03- George mounin. Dictionnaire de la linguistique.Presse universitaire de France 1974

المواقع الإلكترونية:

- 01- الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث. د.محمد علي الزرقان.
http://www.axu.dam.org/book_98/208_mr.zip
- 02- الخلل المنهجي في كتابات رمضان عبد التواب. [www.voiceofarabic.net](http://www.voiceofarabic.net/index.php)
- 03- الدكتور حمزة بن قبلان المزيني. جريدة الرياض. <http://www.voiceofarabic.net>

www.elktab.com

arabi.nat/underphp
-04 - مواليد عين الشمس 1930 .

الفهرس

الفهرس:

أ-د	المقدّمة
01	تمهيد
01	1-مولد الدكتور رمضان عبد التواب
01	2-نشأته
02	رمضان عبد التواب في المعهد الديني
02	رمضان عبد التواب في كلية العلوم
03	رمضان عبد التواب و مساره الوظيفي
05	مؤلفات الدكتور رمضان عبد التواب
05	مؤلفاته في مجال التحقيق
07	مؤلفاته في مجال الترجمة
08	مقالاته و بحوثه العلمية
09	وفاته
09	التعريف بكتاب "بحوث و مقالات في اللغة"
10	أسباب تأليف الكتاب
10	العوامل التي ساعدت المؤلف على البحث
11	أهداف الكاتب من الكتاب
12	أصل كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"
15	المناهج اللغوية المعتمدة في الكتاب
18	آراء الدارسين في منهج المؤلف و الكتاب
	الفصل الأول: المسائل اللغوية و الصرفية في كتاب "مقالات و بحوث في اللغة"
23	I-نشأة اللغة
23	أ-نظرية التوقيف و الالهام
24	ب-نظرية المواضعة و الاصطلاح

25	ج-نظرية المحاكاة
26	2-رمضان عبد التواب و فكرة نشأة اللغة
27	3-رأي رمضان عبد التواب في ضوء علم اللغة الحديث
29	II-المسائل الصوتية
31	III-المسائل الصرفية
	الفصل الثاني:المسائل النحوية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"
39	1-القياس
43	أ-رأي الدكتور رمضان عبد التواب في القياس
51	ب-رأي الدكتور رمضان عبد التواب في القياس و علم اللغة الحديث
57	2-التعليل
66	أ-آراء الدكتور رمضان عبد التواب في التعليل و علم اللغة الحديث
68	ب-ظاهرة الشذوذ اللغوي و آراء الدكتور رمضان عبد التواب فيها
73	ج-تيسير النحو
78	د-الدعوة إلى العامية و استبدال الخط العربي
79	هـ-موقف الدكتور رمضان عبد التواب من هذه الدعاوى
84	و-موقف الدكتور رمضان عبد التواب في التعليل و علم اللغة الحديث
	الفصل الثالث: المسائل الدلالية في كتاب "بحوث و مقالات في اللغة"
88	1-المسائل الدلالية
90	أ- علاقة اللفظ بالمعنى
92	ب- الدلالة الصرفية و رأي الأستاذ رمضان عبد التواب و علم اللغة الحديث.....
102	2-المستوى المعجمي
106	أ-المعاجم العربية في نظر المحدثين
110	ب-موقف الدكتور رمضان عبد التواب من المعاجم و حركة التأليف المعجمي عند القدامى

116 3-آراء الدكتور رمضان عبد التواب في المعاجم و علم اللغة الحديث
118 الخاتمة
120 قائمة المصادر و المراجع
123 الفهرس